الوطن في شعر عرار
دراسة في المحاور الفكرية والسمات الفنية

إعداد الدكتور

محمد عبد الحكيم محمد الفقي

أستاذ الأدب والنقد المساعد
في كلية الدراسات الإسلامية والعربية بنات الزقازيق

الوطن في شعر عرار

دراسة في المحاور الفكرية والسمات الفنية

محمد عبد الحكيم محمد الفقي .
كلية الدراسات الإسلامية والعربية بنات الزقازيق جامعة الأزهر، مصر.
البريد الألكتروني :Mohamedelfaky1086.el@zhar.edu.eg

الملخص

يهدف البحث إلى إبراز حب الوطن عند الشاعر عرار من شعراء العصر الحديث الذين نجد عندهم هذا المنحى واضحا جليا ، ولذا دار البحث حول السمات الفكرية والفنية التي تبرز هذا الجانب في شعره ، ولا سيما أنها تمت بصلة وثيقة إلى شخصيته التواقة إلى كل ما يكفل لها العز والشرف، ونصرة الحق، على الرغم من معاناته الشديدة جراء مواقفه الوطنية الثابتة من الإقصاء والإبعاد، والنفي والتعذيب ، لكن ذلك لم يفت فى عضده، مستمراً فى منهجه الحياتى، وسلوكه الوطنى المشرف. وقد حاول هذا البحث أن يجيل النظر بتأن وشمول فى شعر عرار عبر ديوانه الشعري، بحثاً عن ظاهرة الوطن .

الكلمات الافتتاحية :الوطن _ شعر عرار _ المحاور الفكرية _ التصوير – السمات الفنية .

The Homeland in the Poetry of Arar: A Study in Intellectual Aspects and Aesthetic Features

Mohamed Abdul-Hakim Mohammed Al-Feky Zagazig
Faculty of Islamic and Arab Studies for Girls, Al-Azhar University, Egypt.

Email: Mohamedelfaky١٠٨٦.el@zhar.edu.eg

Abstract:

The research aims to highlight the patriotism of the poet Arar as one of the poets of the modern era, for whom we find this aspect is very clear. Therefore, the research talks about the intellectual and aesthetic features that highlight this facet in his poetry. Particularly, it is closely related to his personality as a citizen who is eager to all what guarantees him glory, honor, and support for the truth. Despite his severe suffering as a result of his consistent national positions of exclusion, exile, refugee and torture, he did not fail nor was he frustrated. He continued his approach to life, and his honorable national behavior. This research has attempted to give careful and comprehensive consideration to Arar's poetry through his poetry collection, in search for the phenomenon of the homeland.

Key words: Homeland, Arar's poetry, Intellectual Aspects, Portraying, Aesthetic Features.

المقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبيه الصادق الأمين، سيدنا محمد ومن تبعه بإحسان إلى يوم الدين.. وبعد، ،

فحب الوطن من الإيمان، والشخص المحب لوطنه يحيا فى سبيله وأمته، ويضحى بكل غالٍ ونفيس من أجلهما.

والشعراء بما حباهم الله من رهافة حس، وتدفق شعور، وتأجج عاطفة، من أكثر الناس إحساساً بقضايا الوطن، والتغنى بحبه، وتكريس الولاء له، وإظهار المواقف الوطنية التى تبرز الانتماء والالتحام به.

وهذا يعنى أن الشعر الوطنى الأصيل يواكب الأحداث التى تهز الشاعر هزاً عنيفاً وتحمله على الإفصاح عن مشاعره تجاهها، ناظراً إليها بوصفها أحداثاً تقتضى منه أن ينغمس فيها حتى تكون له منها مواقف مشهودة.

والشاعر مصطفي وهبي التل الملقب ب (عرار) من بين الشعراء المعاصرين في الأردن، الذين نجد عندهم هذا المنحى تعبيراً عن حب الوطن والأمة سعياً إلى الإفصاح عن أفكاره وعواطفه نحوهما، والانحياز الكامل لأبناء أمته، ورصد معاناتهم، وهمومهم، وطموحاتهم اليومية بواقعية خلاقة.

ولم يكن عرار متخلفاً عن اللحاق بركب الشعراء المتميزين فى هذا المجال، بل جاء شعره الوطنى لم تنقص أغلبه العناصر أو المقومات التى لا غنى له عنها حتى يكون باعثاً على الإثارة والإمتاع، والإدراك العميق لكل ما يدور حوله من صراعات، وجدل وطموحات، وآمال وتضحيات.

تبعاً لهذه الحقيقة فقد استبدت بى رغبة فى أن أتناول موضوع "الوطن فى شعره" سعياً إلى كشف ما يتعلق بها من مضامين، ولا سيما أنها تمت بصلة وثيقة إلى شخصيته التواقة إلى كل ما يكفل لها العز والشرف، ونصرة الحق، مع أنه قاسى كثيراً

من جراء مواقفه الوطنية الثابتة من الإقصاء والإبعاد، والسجن والتعذيب، لكن ذلك لم يفت فى عضده، مستمراً فى منهجه الحياتى، وسلوكه الوطنى المشرف.

واتبعت –فى سبيل تحقيق هذه الرغبة– المنهج التكاملى لما يعطيه للباحث من حدود أوسع فى الولوج إلى النصوص بما يناسبها، وبخاصة إذا علمنا أن هذه النصوص قد ارتبطت بحياة الشاعر الواقعية والنفسية، وما اتصل بها من ظروف سياسية حمل عبأها، وواكب تفصيلاتها.

وقد حاول هذا البحث أن يجيل النظر بتأن وشمول فى شعر عرار عبر ديوانه الشعري، بحثاً عن ظاهرة الوطن، وقد استقام له ذلك من خلال ثلاثة مباحث، يسبقها تمهيد، وتعقبها خاتمة، ثم ثبت بالمصادر والمراجع.

أما التمهيد: فجعات عنوانه **(الشاعر معالم حياة)** وتحدثت فيه عن التعريف بالشاعر وبيان أهم الأحداث التى تشابكت لتنسج شخصيته ونبوغه الأدبي. **وأما المبحث الأول :** فجعلت عنوانه **(السياق المعرفي لكلمة وطن وحضورها في الشعر العربي)** ووقف عند مفهوم السياق المعرفى لموضوع الوطن لغة واصطلاحاً، والإشارة فى عجالة إلى ظهور هذا المفهوم فى وعى العربى وتفكيره قديماً وحديثاً، وحضور هذا المصطلح فى الشعر العربى الحديث والمعاصر.

وأما المبحث الثانى: فجعلت عنوانه: **(الوطن في شعر عرار دراسة في المحاور الفكرية)** وقد جاء فى ثلاثة محاور:

المحور الأول: وجعلت عنوانه "**الحس الإنسانى**" وتحدثت فيه عن إحساس الشاعر بمعاناة الإنسان فى ممارسة حياته الطبيعية بحقيقة وواقعية، باعتباره هدفاً أسمى فى نظره وشعره.

المحور الثانى: وجعلت عنوانه "الحس الوطني" وتحدثت فيه عن كون قضايا الوطن فى نظرالشاعر شيئاً مقدساً لديه، يجب أن يحافظ عليه لا بدافع المنفعة، ولكن بدافع الحب الخالص الذى يسرى فى دمه، وينبض به قلبه وقلمه.

المحور الثالث:وجعلت عنوانه "**تصوير الواقع العربى**" وتحدثت فيه عن قراءة الشاعر لهذا الواقع الذى يتجلى فى كثير من قصائده، بحكم انتمائه العميق لروح الأمة العربية، وماضيها العميق.

وأما المبحث الثالث: فجعلت عنوانه: "**السمات الفنية لشعر الوطن عند عرارو قد جاء علي النحو التالي:**

أولا: "**البناء اللغوى والأسلوبى**" وتحدثت فيه عن معجمه الشعرى الذى جاء متنوعاً فى أبعاده وألفاظه فى لغة بسيطة فى تركيبها عميقة فى معناها، وإيحائية الألفاظ وما لها من تأثير على المتلقى بإيحاءاتها الخاصة

وتدعيم اللغة الشعرية بالقيم الإسلامية التى يبث من خلالها روح الوحدة والانتماء فى نفوس العرب، وتقيده بقيم الإسلام وتعاليمه الحنيفة.

وتوظيف الرمز المستمد من الطبيعة والواقع، ليرقى بألفاظه من خلاله إلى آفاق رحبة.

والاستعانة بالتكرار كظاهرة لغوية بارزة يلجأ إليها الشاعر لإثراء المعنى، والارتفاع به إلى مرتبة الأصالة.

وتوظيفه ظاهرة التضاد من أجل إبراز حسن المعانى وتوكيدها بضم نقيضها.

ويأتى البناء الأسلوبى بسماته المتعددة فى شعره من: (اقتباس، ونداء، واستفهام) للتعبير عن حس شعرى عال، وتجربة متميزة استقت استقراءها من روافد متنوعة.

ثانيا: "**البناء التصويرى**" وتحدثت فيه عن تشكيل البنية التصويرية فى شعره عبر محورين هما: الصورة المفردة الجزئية من تشبيه، واستعارة، وكناية، استمدها من واقعه، وبلورها فى صورة موحية عميقة تدهش المتلقى.

والصورة المركبة الكلية، وما تتكون منه من بناء درامى، وبناء مقطعى، وبناء توقيعى، تشف عن أسلوبه الوطنى، ومنهجه النفسى.

ثم أنهيت تلك الدراسة بخاتمة تضمنت أبرز النتائج والتوصيات التى أسفرت عنها هذه الدراسة.

وبعد، فقد بذلت جلّ جهدى فى إخراج هذه الدراسة على وجه أرتضيه، وآمل من الله عز وجل أن ينفع بها، وأن أكون قد أبنت جانباً جديداً فى شعر عرار يضاف إلى جهود السابقين.

الله أسأل أن يوفقنى لإتمام ما بدأته، وتحقيق ما قصدته، وأن أكون ممن يجتهد فيصيب، إنه سميع مجيب.

التمهيد

الشاعر (معالم حياة)

لم يكد القرن التاسع عشر ينصرم حتي خرج العرب من الحرب العالمية الأولي وهم جسد بلا رأس، فعاشوا تحت الحكم التركي في حالة من الذل والهوان وحظر عليهم الكلام بالعربية واستعمالاتها، وساءت الأوضاع الاقتصادية، وتزايد الفساد الإداري، وعجزت الدولة العثمانية عن توفير الأمن والاستقرار في الديار العربية، ونتيجة لذلك اشترك العرب في الثورة علي الأتراك وانطلقت الثورة العربية الكبري من مكة عام ١٩١٦م، وأعلنت أول دولة عربية في دمشق تضم بلاد الشام والحجاز والعراق، لكن بريطانيا وفرنسا أصدرتا بيانا بتقسيم البلاد وترتيب أوضاع فلسطين بانتداب خاص تنفيذا لإنشاء وطن قومي لليهود، وربطت الإمارة الأردنية بانتداب وفق ترتيبات خاصة، وفرض المستعمر أمرا واقعا بالقوة وانتهاء الحكم التركي.[١]

وسط هذا المناخ المتقلب سياسيا واجتماعيا ولد مصطفي وهبي صالح التل في مدينة إربد شمال الأردن في الخامس والعشرين من شهر مايو عام ١٨٩٩م، لقب بشاعر الأردن، وعرار، وفي هذا يقول :

أرادوا عرارا بالهوان ومن يرد
عرارا لعمري بالهوان فقد ظلم
وأن عرارا إن يكن ذا شكيمة
يخافونها منه فما أروع الشيم.[٢]

وقد اختار لنفسه هذا اللقب بعد أن طلق أبوه أمه وحدثت مصادمات بينهما، فوجد في اسم عرار بن عمرو بن شأس الأسدى مبتغاه نظرا لتشابه الظروف بينهما فالآخر

---

(١) انظر جيل الفداء قصة الثورة الكبري ونهضة العرب قدري قلعجي ص٢٦٣ وما بعدها دار الكتاب العربي للطباعة والنشر ط١ ١٩٨٧م .

(٢) مجلة كلية التربية الاساسية للعلوم التربوية والإنسانية جامعة بابل ص٧٨ عدد٣٠ كانون أول ٢٠١٦ م .

كانت أمه حبشية طلقها أبوه عمرو وتزوج بغيرها ولما كبر عرار حدثت مناوشات بينه وبين زوج أبيه وعاش حياة مضطربة، وكان فارسا مغوارا في جيش عبد الملك بن مروان تحت إمرة الحجاج بن يوسف الثقفي وكان رسول الحجاج برأس ابن الأشعث إلى عبد الملك بن مروان[1]، ومن هنا اختار لنفسه هذا اللقب عرار.

تلقي تعليمه الابتدائي بالأردن ثم سافر إلي دمشق عام ١٩١٢ م وخلال دراسته شارك زملاءه في الحركات التي كانوا يقومون بها ضد الأتراك، فنفي علي إثرها إلي بيروت، ولكنه ما لبث أن عاد إلي دمشق .

وفي صيف ١٩١٦م عاد عرار إلي إربد لقضاء العطلة الصيفية، وفي أثناء ذلك حدثت خلافات حادة بينه وبين والده لإحجام والده عن إعادته لمدرسته في دمشق، ليعمل في مدرسة افتتحها والده آنذاك وسماها (المدرسة الصالحية العثمانية) وزاد الخلاف بينهما مما جعله يترك إربد بصحبة صديقه محمد صبحي أبي غنيمة قاصدين استنبول، ولكنهما لم يبلغاها إذ استقر المقام بالشاعر عرار فى عرب كير إذ كان عمه قائم مقام فيها، ليعمل في وظيفة وكيل معلم ثان لمحلة اسكيشهير، إلا أنه استقال منها.

وفي ١٩١٩ استطاع إقناع والده بالعودة إلي دراسته فى دمشق لإكمال دراسته الثانوية لكنه عاد مرة ثانية للمشاركة في الحركات الطلابية فنفته السلطات إلي حلب وغادرها عام ١٩٢٠ م بعد حصوله علي الشهادة الثانوية من المدرسة السلطانية .

وفي أثناء دراسته هذه تعلم اللغة التركية وهي اللغة الرسمية وقتذاك، كما عرف الفارسية، وفي أواخر العشرينيات درس القانون معتمدا معتمدا علي نفسه وتقدم للفحص الذي كانت تجريه وزارة العدل فاجتازه، وحصل إجازة المحاماه عام ١٩٣٠م ثم في سلك القضاء بعد التدرج مساعدا للنائب العام، ثم رئيسا للتشريفات في الديوان العالي، ثم عزل

([1]) استوحي هذه الأبيات من شعر عمرو بن شأس الأسدى في القصيدة التى انتصر فيها لولده عرار من زوجته عندما وقع صدام بين عرار وزوجة أبيه عمرو، انظر :الكامل في الأدب ٢١٧/١ . الأغاني: ٢٠٠/١١-٢٠٣ . والعرار بالفتح الشدة والرفعة والسؤدد. القاموس المحيط مادة عرر .

واقتيد إلي سجن المحطة بعمان الذي خرج منه بعد سبعين يوما، وبعد خروجه من السجن عام ١٩٤٢م عمل بمهنة المحاماة بعمان ومارس معها إدمان الخمر نظرا للظروف النفسية الرهيبة التي مر بها.

كانت له صلات واسعة مع بعض الشعراء المعاصرين له أمثال إبراهيم ناجي، وأحمد الصافي النجفي، وإبراهيم طوقان وغيرهم، كما كانت صلته وثيقة بالبلاط الملكي في عهد عبد الله بن الحسين(الجد)، حيث كانت تجتمع نخبة من الشعراء والأدباء، وتدور بينهم مساجلات ومعارضات شعرية.

وفي عام ١٩٤٩م وافته المنية في المستشفي الحكومى بعمان، ونقل جثمانه إلي مسقط رأسه بمدينة إربد حيث دفن في تل إربد . . [١]

نبوغه الأدبي :

نظم عرار قصائده الأولي وهو لايزال في طور تكوينه الاول في المرحلة الابتدائية من تعليمه تقريبا، فلعله اطلع في هذا الوقت علي نماذج من الشعر الجديد، حيث كان يترقب الصحف التي تأتي من القاهرة بشغف كبير، وكانت المعارك الأدبية التى جرت في مصر قد وصلت تأثيراتها إلي العالم العربي كله وبخاصة الآثار التي أحدثتها جماعة أبولو، وقدارتبطت هذه التأثيرات والتطورات الشعرية الجديدة في محيطها الخاص ببيئة عرار التي انطبعت علي شعره فجاءت مواقفه الخاصة مرتبطة ارتباطا عضويا بالمواقف العامة لواقعه وقد أدي ذلك إلي التعبير الوجداني المتميز بالبساطة المغرقة فجاء شعره خاضعا لحياته النفسية وطبيعة الحياة من حوله .

وقد تولد عن هذا النبوغ آثارا أدبيه في الشعر والنثر، **فمن آثاره الشعرية:** ديوانه المطبوع اختار الشاعر لهذا الديوان الذي أراد جمعه وطبعه تحت اسم (عشيات وادي

(١) انظر البني الشعرية دراسات تطبيقية في الشعر العربي عبدالله رضوان ص٥١ منشورات أمانة عمان الكبري سنة ٢٠٠٣م.

اليابس) قبل وفاته، وأشار إلي هذه التسمية التي عرف بها الديوان في قصيدة "عشيات وادي اليابس " التى قدمها احتراما لفتاة وادي اليابس التي يقول فيها:

ياأخت واد قد دعوتك باسمه وله نسبت تبركا ديواني

إلا أن الشاعر قد وافته المنية قبل أن يقوم بجمع قصائده في ديوان، علي الرغم من أن العديد من زملائه قد طلبوا منه ذلك :

قالوا لشعرك عشاق بودهم أن يجمعوا بعضه في شبه ديوان
فقلت شعري أشلاء مبعثرة كأنها عمري في كل ميدان [1]

وظل ديوانه أشلاء مبعثرة بين الصحف والمجلات، حتي بعد وفاته بخمس سنين، إلي أن قام نجله(مريود) بجمع قصائده من الصحف والمجلات وأوراقه الخاصة، وكتب مقدمة ديوانه صديقه (محمود المطلق المحامي) الذي قام بتنسيقه وتنقيحه، ونشر الطبعة الأولي بمساعدة دار الطباعة الحديثة في عمان في سبتمبر سنة ١٩٥٤ م .

علي أن شهرة عرار اعتمدت علي كونه شاعرا، حيث حققت أشعاره انتشارا واسعا بين الأردنيين إلا أنه ترك بعض الآثار النثرية نذكر منها :ترجمته النثرية لبعض رباعيات الخيام" التي كان قد نشرها في مجلة "منيرفا " عام ١٩٢٥م مستعينا بترجمة وديع البستاني للرباعيات عن الفارسية . [2]

وكذلك رسالته (أصدقائي النّور): وهي مجموعة أحاديث بثها من الإذاعة البريطانية أثناء الانتداب البريطاني، وتدور حول علاقته بالنور، وماوجده من عاداتهم وتقاليدهم الاجتماعية، وبيان مدي التعاطف الإنساني منه نحوهم بسبب الظلم الواقع عليهم، والتأكيد علي العدالة الاجتماعية التي يجب أن تشمل كل طوائف المجتمع . [3]

---

(1) ديوان عشيات وادي اليابس ص٤٨.

(2)انظر عرار شاعر الأردن يعقوب العودات(البدوي الملثم) ص١٢٥ ومابعدها دار القلم بيروت ط١ ١٩٨٠م.

(3) نفسه ص ١٣٠ . النّور:طبقة مهمشة من طبقات المجتمع الاردني تعيش تحت خط الفقر تعاني من الظلم الاجتماعي ، وتقيم في البادية .

إلي جانب ماسبق كتابه "طلال " الذي ألفه بالاشتراك مع مدير جريدة الأردن آنذاك التي نشر فيها الكثير من أشعاره، وقدمه هدية إلي الأمير طلال بن عبدالله ولي عهد الأردن بمناسبة عقد قرانه، وهو عبارة عن انطباعات وخواطر عن الأمير .

صوته الشعري :

يعد عرار من الأصوات الأردنية المميزة، التي مثلت حقبة الإمارة، فكان ابن ظرفه التاريخي، راسما لذاته عالمه الخاص، عالم المدينة الفاضلة، متمردا علي كل الأعراف حيث كان "من أوائل من غرسوا روح الرفض والتمرد في القصيدة الحديثة " متخذا من مجتمع (النّور) المكان والملاذ الآمن لروحه المعذبة بقضايا الوطن والأمة، فجاء شعره مناصرا للعامة صوتا وروحا وفعلا، حيث يري أنهم فئة مضطهدة من قبل التجار والسماسرة والمرابين، ويحمل بين جوانحه آهات ولهثات أنفاس تعيش ثورات عربية وقومية يجهضها التآمر الاستعماري والخطر الاستيطاني الصهيونى، فهو مجاهر بنقد السلطة من أجل المصلحة العليا، ومتمرد علي وجائب الوظيفة التي تنفذ قرارات فيها ظلم وتعسف واستغلال للطبقات من الفلاحين والفقراء والنور. [1]

فهو يمثل أصواتاعدة تعاني وتتألم ولا تمتلك مقومات التعبير والإدانة والمعارضة كما يمتلكها عرار فكان " صوت الفقراء والصعاليك والأحرار المناضلين، ومنبها ومحذرا من مخططات استعمارية، وفي هذا يقول مدافعا عن الفقراء :

إن الصعاليك إخواني وإن لهم حقا به لو شعرتم لم تلوموني
فالعزل والنفي حبا بالقيام به أسمي بعينيّ من نصيبي وتنصيبي

إلي أن يقول:

فما أنا راجع عن كيد طغمتكم حفظا لحق الطفاري والمساكين

(1) مجلة أفكار :أثر عرار في شعرنا المعاصر خالد الكركي ص٣٦ وماعدها العددان ٨٩ و٩٠ وزارة الثقافة والإعلام عمان.

هذي الوظيفة إن كانت وجائبها وقفا عليكم فعنها الله يغنينـــي [١]

ويشدد عرار في حملته ضد المتسلطين علي مقدرات البلاد ويبين أن الكذب والنفاق والتدليس من المعوقات التي تحول دون تقدم المجتمعات، فنجده يكشف هذه الفئة المنافقة الكاذبة ويرميهم بسهامه اللاذعة قائلا:

لما رأيت الكذب سر تفوق الفئة السرية
ورأيت الصدق يذهب من يقول به ضحية
ونظر أحلاس الوظائف سادة بين البرية
أيقنت أن الألمعية في ازدراء الألمعية
وحللت عقلي من عقال الهاجسين بحسن نية [٢]

وينحاز الشاعر إلي جانب الفقراء، يصب نقمته علي المرابين ويوسعهم عسفا وهوانا، فيقول :

قولوا لعبود عل القول يشفيني إن المرابين إخوان الشياطين
كأنما الناس عبدان لدرهمهم وتحت إمرتهم نص القوانين
يارهط شيلوخ من يأخذ بناصركم يجن علي الحق والأخلاق والدين
ومن يسهل أمرا فيه مصلحة لكم فملعون حقا وابن ملعون[٣]

وفي المقابل يوجه تحية للرجال المخلصين الذين وضعوا مصلحة الوطن فوق كل الاعتبارات، فيشيد بموقف الحسين بن علي الذي قاد الثورة علي الأتراك عام ١٩٣١م، فيقول من مرثية له :

لانت قناتك للمنون وقلما كانت تلين
فعفا الحمي من أعز وغادر الأسد العرين

---

(١) ديوان عشيات وادي اليابس مصطفي وهبي التل (عرار) ص٣٨٦ جمع وتحقيق زياد الزغبي المؤسسة العربية للدراسات والنشر ط١ ١٩٩٨م .الطفاري : مادة طفر. والطفرة : الوثبة في ارتفاع . ويراد به هنا المبالغة في الفقر .القاموس المحيط ص٥٥٣.

(٢) نفسه: ص٢٨ .عبدان : جمع عبد ،والعبودية: الطاعة القاموس المحيط ص ٣٧٨الفيروز آبادي .

(٣) نفسه: ص٣٨٥.

وبقلب عنوان العروبة ولحجا سكن الوتين
صرخ النعي وما كنى والناس غير مصدقين
أمحور الشعب الهضيم وناشر الحق الدفين
ومقيل عثرة آمة آعيا النهوض بها قرون [1]

وبإدراكه لدور الأديب في مجتمعه التزم بمصلحة الوطن والمواطنين، وأحذ علي عاتقه مهمة الدفاع عن كل مايحق لقومه من الحرية والتقدم والرقي، ولما كان التزامه بذلك عن قناعة وطنية لم يترك أي ناحية اجتماعية تهم الوطن إلا وتفاعل معها بالطريقة التى تحقق المصلحة العامة مشيرا إلي وضع الرجل المناسب في المكان الغير مناسب، عندما عين محاسبا يعيش بين الأرقام وهو أديب وشاعر :

إن الزمان ولا أقول زماني بين الطوابع والرسوم رماني
واحال لذتي وساوس حاسب يهذي بضرب ثلاثة بثماني[2]

ونظرا لاعتزاز الشاعر بوطنه يعطي المكان أهمية خاصة، فيصور مدي عشقه للحياة في الضواحي والريف مما يكشف عن عمق الارتباط الواعي بالمكان /الوطن والمسحة الريفية التي تسري في أعطاف شعره ـ بعيدا عن المدينة وزيفهاـ حيث النقاء النفسي والمناخي بعيدا عن الزيف والظلم، فيقول :

وسهل إربد قد جاشت غواربه بكل أخاذ من عشب ونوار
دعي المدينة لايخدعنك باطلها فزيفها بين من غير منظار [3]

وكان من الداعين إلي الوحدة العربية، ونبذ الفرقة بينهم، ولطالما حذر بني قومه من عواقب تفرق أمرهم، موجها حديثة لفوج من شبيبة فلسطين جاء في زيارة لإربد، فقال مرحبا بهم، وداعيا لنبذ الفرقة بينهم :

---

(1) عشيات وادي اليابس ص٩٨ ومابعدها.
(2) نفسه ص٦١.
(3) نفسه ص٦٥.

أني أري سبب الفناء وإنما سبب الفناء قطيعة الأرحام
فدعوا مقال القائلين جهالة هذا عراقي وذاك شآمي[1]

هذه لمحة عن بعض الأحداث التي عالجها عرار في شعره الوطني، والتي كان ينطلق فيها من الإحساس الواعي بموقفه كشاعر يعرف دور الكلمة ومفعولها في العصر الحديث، حيث التزم الشاعر بكل قضايا وطنه مدركا أن النضال من أجل مستقبل بلاده واجب تحتمه عليه وطنيته، لذا أمضي عمره واهبا حياته لهذا الوطن، راضيا بالسجن والنفي والاعتقال في سبيله،

وهنا يكمن السر في شيوع شعره علي ألسنة مواطنيه فكان بحق شاعر يتحسس ذاته بصدق.

(1) ديوان عشيات وادي اليابس ص٣١٤.

المبحث الأول

(السياق المعرفى لكلمة وطن وحضورها في الشعر العربي)

أولاً: الدلالة اللغوية والاصطلاحية:

بالنظر في معاجم اللغة تبين أن لفظة (الوطن) لها دلالات متعددة تتقارب أو تتباعد بحسب الاستعمال وبحسب الإطلاق وتركيباته التعبيرية، وتعنى الحى أو المكان الذى تسكنه العشيرة أو القبيلة، فالوطن كما جاء فى معاجم اللغة: "حيث أوطنت من بلد أو دار" يقال وطنت المكان، وأوطنت به"[١]، والوطن "المنزل الذى تقيم به، وهو موطن الإنسان ومحله، والجمع أوطان، وأوطان الغنم والبقر، مرابطها وأماكنها التى تأوى إليها[٢].

وفى العصر الحديث أصحبت لفظة الوطن تحمل مدلولاً واسعاً، حيث بدت فى مفهومها تشمل الأرض والناس والماضى والحاضر[٣]. مقترنة بالكيان الجغرافى القومى، والسياسى، والوطنى، الذى تولد فيه أمة، وتتخذه مستقراً دائماً لها، وتربط أبناءها تقاليد وعادات ومصالح مشتركة[٤].

ومهما اتسعت الدائرة حول مفهوم كلمة الوطن فإن استعمالها يبقى أوسع وأشمل.

وفى الاصطلاح: تخفى كلمة الوطن وراء حروفها دلالات واسعة ومشاعر عميقة، ما يمنح لأى كان أن يبحر فى أغوارها ويستكنه خفاياها، يدرك حقيقة الكلمة من تأصلت فى ذهنه عقيدة راسخة بأن حب الوطن من الإيمان، فجرى هذا الحب منه مجرى الدم من العروق، لذلك فإن مفهوم الوطن رجراج يختلف باختلاف المذاهب الفكرية، والمعتقدات الدينية، فكل يعرفه حسب منبعه الثقافى، واتجاهه السياسى، وفقاً

---

(١) جمهرة اللغة لابن دريد ١١٩/٣.
(٢) لسان العرب لابن منظور ٩٦٦/٤.
(٣) الوطن فى شعر إبراهيم طوقان د. عادل الأسطة صـ ٩٣.
(٤) انظر النقد التطبيقى والموازنات د. محمد الصادق عفيفى صـ ٦٨.

لمبادئه، ورغم ذلك يمكن القول بأن كلمة الوطن تعنى "المنزل الذى يحل به المرء مع أهله وعشيرته"[١]، ومع مرور الأيام تطورت كلمة الوطن وأصبحت تعنى البقعة الجغرافية المعنية بحدودها وبشرها وتاريخها، وقوانينها وذكرياتها[٢].

ويكون أكثر شمولاً إذا قصدنا به الأمة الإسلامية. لأن العقيدة هى الرباط الوحيد الذى يعوض وحدة الكون والدم والتضاريس[٣].

واعتقد أن الوطن هو ذلك الكيان المقدس الذى يلوح هيبته وجلالاً، أتمثله أماً حنوناً أرضعتنا شوقاً وحناناً، وأهدتنا الحياة فوجدنا أنفسنا بين أحضانها، فترعرعنا تحت عينيها.

ومن هنا كان الوطنى هو الذى يحيا فى سبيل وطنه وأمته، ويضحى بكل غال ونفيس من أجلهما، وتلك هى قمة الوطنية إذ هى "حب الوطن والشعور بارتباط وطنى نحوه"[٤]، ينمو فى النفس ويزداد لهيبه فى القلوب "كلما كبرت هموم الوطن وعظمت مصائبه"[٥].

فحب الوطن والشعور نحوه بالارتباط الروحى تفرض على الشاعر أن يعبر عن آلام وآمال أمته، وإلا فليس "بشاعر من لا يستطيع أن يرى فى مجتمعه أو عالمه إلا المظاهر الخارجية ولا يشغله منها إلا البريق الزائل، ومثله من يبصر الحقيقة ولكنه لا يفصح عنها، بل ويجمل الزيف لتحقيق مغنم، أو يركب موجة الإبهار ليخطف إليه الأبصار، وإنما الشاعر الوطنى هو الذى يدرك الحقيقة ويجاهر بها فى لغة فنية آسرة"[٦].

---

(١) القومية والإنسانية فى شعر المهجر الجنوبى د. عزيزة مريدن صـ ٦٤.
(٢) انظر الوطن فى الشعر العربى د. وهيب طنوس صـ ٢٦٥.
(٣) الإسلام نظام إنسانى، مصطفى الرافعى صـ ٦٣.منشورات دارمكتبة الحياة بيروت سنة ١٩٥٨م
(٤) أبحاث مختارة فى القومية العربية، سامح الحصرى صـ ٢٨.ط دار المعارف مصر سنة ١٩٦٤م
(٥) وطنيون وأوطان أديب نصوص صـ ٥.ط دار العلم للملايين بيروت ط أولي.
(٦) رؤية جديدة لشعرنا القديم، د. حسن فتح الباب صـ٢٦٢.دار الحداثة بيروت سنة ١٩٨٤م.

فالشعر الوطنى الصادق لا تنكر قيمته، فى إصلاح الشعوب، وذلك بما يغرس فى نفوسهم من العواطف السامية والأخلاق النبيلة، إذ يهيب بها أن تتمسك بالحرية والكرامة، ويستحثها على النفور من الذل والعبودية، ويحبب إليها الثورة على الظلم والفساد، ويستنهض الهمم من أجل تحرير النفس والذود عن العرين، رافضا أن يعيش الشعب كالعبيد في بلادهم وإنما أراد لهم حياة كريمة كالليث في عرينه، وفى ذلك يقول الشاعر عرار:

فانفض غبار الذل عنك وعن قضيتك المبينة
وأقبع لوحدك إن سمعت بمرتع بالرعي دونه
فالعبد يقرع بالعصا والحر تكفيه القرينة
والموت جد والحياة بمن يحاولها قمينة
والليث ملك في السباع لأنه يحمي عرينه [1]

ومهما حاولنا إيجاد مفهوم للوطن والوطنية يبقى الوطن أوسع من أن تحويه لفائف الورق، وأكبر من أن يخطه حبر قلم.

فالشاعر يستمد سعادته من الأرض والوطن الذي هو مصدر سعادته فإذا ما ابتعد عن وطنه يحس وكأن الأرض سدت بوجهه:

سدت الأرض بوجهي
باب إمكان الهناء
والسماء أحسبها كالأرض
يعنيها شقائي[2].

لأنه يري سعادته في قربه، وفي التصاقه به .

([1]) عشيات وادي اليابس مصطفي وهبي التل (عرار) صـ٥ تحقيق زياد الزغبي نشر المؤسسة الصحفية الأردنية سنة ١٩٧٣ م.القمين: الخليق أو الجدير .القاموس المحيط مادة قمن .ص١٥٨١

([2]) نفسه ٢١٤/١، ٢١٥.

ثانياً: حضورها فى الشعر العربى:

كان لحب الوطن وعمق الانتماء إلي المكان حضور كبير في الشعر العربي القديم منذ الجاهلية ، هاهوذا الشاعر عنترة بن شداد يعبر عن اكتوائه بلهيب البعد والفراق عن وطنه وأولاده بقوله :

أحرقتني نار الجوي والبعاد بعد فراق الأوطان والأولاد[١]

وبنفس الكشف يعبر عمر بن أبي ربيعة عن معاني الشوق والحنين إلي وطنه بعد أن نزح عنه ، إذ يقول :

قد هاج قلبك بعد السلوة الوطن والشوق يحدثه للنازح الشجن [٢]

ورغم وجود بذور الحب والانتماء للوطن فى الشعرالعربي، فقد ولد فى أحضان الحركات التحريرية "لكونه يدور حول قضايا الوطن ومشكلاته السياسية والاجتماعية، والذى يصور حب الإنسان لوطنه، إنه تعبير عن مواقف وآراء قامت فى ضمير أبناء الوطن فوعاها الشعراء، وأدركوا أبعادها وتأثروا بها، فغدت لديهم تجربة شعورية حادة، فعبروا عنها تعبيراً صادقاً، وأسبغوا عليها من عواطفهم ما جعلها قادرة على التأثير فى نفوس مواطنيهم"[٣].

وكانت وسيلتهم فى ذلك الشعر الذى يعتبر من أكثر الفنون انفجاراً وتأثيراً بجرسه وقدرته على التحريض والدفع والإثارة بقوة الشحنات الوجدانية العاصفة، والأفكار المتفجرة المنطلقة، فعالجوا شئون الأوطان، وساهموا فى البعث الوطنى، وفى الأحداث السياسية، وفى الحملة على الاستعمار والتنديد بفظائعه، والتغنى بالحرية والاستقلال، وحث الأقوام على الجهاد والكفاح، والإشادة بالمجاهدين والشهداء، والدعوة إلى الوحدة العربية، وإشاعة العدل، والعمل من أجل عيشة حرة كريمة قائمة على الحقوق والمبادئ.

---

(١)ديوان عنترة بن شداد ص٦٧ دار صادر بيروت .
(٢)ديوان عمر بن أبي ربيعة ت إبراهيم الأعرابي مكتبة صادر بيروت سنة ١٩٥٢م.
(٣) أروع ما قيل فى الوطنيات أميل ناظيف صـ ٩.دار الجيل بيروت لبنان ط أولي١٩٩٢م.

وبالنظر فى الشعر العربى الحديث نجد مادة شعرية غزيرة من الشعر الوطنى، بسبب الوعى القومى والوطنى لدى شعراء هذا العصر، فاشتهر كثيرون منهم بشعره الوطنى كأحمد شوقى فى مصر الذى نازعته نفسه فى تخليد مآثر وأمجاد وطنه إذ يقول:

وطنى لو شغلت بالخلد عنه نازعتنى إليه فى الخلد نفسـ ي[1]

ومفدى زكريا[2]: فى الجزائر التى يستجلى فى ملامحها قطعة قدسية، وقصيدة أزلية، كان مطلعها الفاتح نوفمبر، تنحنى لاسمها الجبابر ساجدة راكعة، ويزف خبر مولدها بالدماء والمدافع بشرى للعالم، فيقول:

إن الجزائر فى الوجود رسالةال شعب حررها وربك وقعا
إن الجزائر قطعة قدسيةفي ال كون لحنها الرصاص ووقعا
وقصيدة أزلية أبياتهاحمـ راء كان لها نوفمبر مطلعا[3]

ومعروف الرصافى[4] فى العراق الذى اتخذ من حبه لوطنه منبراً للوطنية، ودعوة للوحدة، وإزالة الفوارق الطبقية، إذا يقول:

إذا جمعتنا وحدة وطنية فماذا أعلينا إن تعددت أديان
إن القوم منهم أمور ثلاثة لسان وأوطان وبالله إيمان
وأى اعتقاد ومانع من أخوة بها قال إنجيل كما قال فرقان[5]

---

(1) الشوقيات ٤٦/٢.ط دار العودة بيروت سنة ١٩٨٨م.

(2) زكريا بن سليمان بن يحيى بن الشيخ سليمان الملقب بمفدى شاعر وسياسى جزائرى، ومؤلف نشيدها القومى (قسما) ولد سنة ١٩٠٨م وتوفى سنة ١٩٧٧م. انظر اللهب المقدس مفدى زكرياء: ٥ الجزائر سنة ١٩٨٣.

(3) اللهب المقدس لمفدى زكرياء صـ ٥٨. المكتب التجاري بيروت سنة ١٩٦١م.

(4) معروف عبدالغنى الرصافى شاعر عراقى ولد فى بغدد سنة ١٨٧٦م وينتمى لعائلة يرجع أصلها إلى أكراد العراق، عمل بالسياسة إلى جانب الأدب، وله ديوان شعر وتوفى سنة ١٩٤٥م. الآلة والأداة معروف الرصافى صـ ٤٩٩، ٥٠٠.

(5) شعراؤنا دراسة تحليلية (معروف الرصافى)- عبداللطيف شرارة صـ١٦٨. داربيروت للطباعة والنشرسنة ١٩٨٢م.

وعبداللطيف عقل[1] فى فلسطين التى أظهر فى أشعاره إخلاصا لها، وارتبط بها ارتباطاً أزلياً، يدافع عنها، ويمتلك حقاً تاريخياً فيها، إذ يقول:

أنـــــــــــا جـــــــــــذر
يرفـــــــق عمـــــــق هـــــــذه الأرض
منـــــــــــذ كانـــــــــــت
ومنـــــــــــذ تكـــــــــــون الأزل
وكـــــــــون لحمهـــــــا لحمـــــــى
وتحـــــت ظـــــلال زيتـــــون الجليـــــل
أهمنـــــــــــى الغـــــــــــزل[2]

هذا الشعر الوطنى "الذى لابد أن تظهر ثمراته فى الأعمال حتى تبلغ الأمم غاية الكمال، فهو كالماء تحت الجبال لابد أن ينبعث فتنشق له الحجارة، وتنفجر منه الأنهار"[3].

ومن هنا كانت الوطنية واجباً مقدساً يسعى إليه كل شاعر عربى حر، وحلماً كبيراً بين جوانح كل شهم أبى، وحقيقة كامنة فى نفس كل شاعر يضحى بنفسه فى حب وطنه ليظل دائم القوة الشباب، دائب الحركة والنمو والتطوير.

والشاعر(عرار) جاء امتداد لهؤلاء الشعراء الذين جعلوا من حب الوطن نمطاً فريداً تعشقه النفس، وقصيدة جميلة، ترنو إليها الأسماع، وتطرب لها القلوب، فقد بلغ في حبه

---

(1) عبداللطيف عقل شاعر فلسطينى ولد سنة ١٩٤٢م لأسرة فقيرة فى ديرا استيا قرية قريبة من مدينة نابلس، مزج فى شعره بين آلامه وآلام الوطن، محاورات عقل فى الأدب والثقافة، أبو خشان وآخرين صـ ١٣.

(2) حوارية الحزن الواحد عبداللطيف عقل صـ٢٠ – ٢١. منشورت دار العودة القدس سنة ١٩٨٥م.

(3) مفدى زكريا، دراسة وتقويم حواس برى صـ ٣٠. ديوان المطبوعات الجامعيةالجزائر سنة ١٩٩٤م.

لوطنه حدا من التطرف، ويأخذ عنده بعدا خاصا كأنه عضو أساسي لا حياة بدونه، لدرجة انه يرفض الجنة وحارسها لا لسبب إلا لأنهما ليسا أردنيين إذ يقول :

يقول عبود جنات النعيم علي أبوابها حارس يدعوه رضوانا
من ماء راحوب لم يشرب وليس له ربع بجلعاد أو حي بشيحانا
ولا أصاخا إلي أطيارنا سحرا بالغور تملؤه شدوا وألحانا
ولا تأردنه يوما بمحتمل ولا لتقديسه الأردن إمكانا[1]

فالشاعر يعبر عن مدي حبه لوطنه لدرجة أنه يقدمه علي الجنة، وإن كان في ذلك انحراف أسلوبي يرفضه العقل، وهو هنا يدلل علي مدي ارتباطه وعشقه لهذا الوطن، وهذا ما يقصده الشاعر ويؤكد عليه.

(1) مقدمة ديوان عشيات وادي اليابس صـ ٤٣ .راحوب :قريةإلي الشرق من إربد.جلعاد :قرية شمال الأردن .شيحان : جبل معروف في الكرك .الغور : منطقة محاذية لنهر الأردن من الشرق .

المبحث الثانى

الوطن في شعر عرار (دراسة في المحاور الفكرية)

بعد مصاحبتى لشعر عرار فترة من الزمن وجدت أن قصيدة الوطن فى شعره تنطلق من تفاعلات الواقع وصراعاته، حيث إنها لا تعتمد أصلاً على إعادة صياغة الحدث الثورى أو المشهد النضالى لاستدرار عواطف المتلقى وإلهاب حماسته، وتأجيج مشاعره الثورية، بل تخلق شحنة تفتح الرؤى والمدارك والوعى بالواقع المعاش وما يمكن أن يتمخض عنه لاحقاً، أو أنها تدفع باتجاه خلق وابتكار أفعال وأحداث جديدة تعجل بعملية التطور والتقدم بخطوات سريعة نحو الأمام.

وبهذا دخل شعره ساحة الواقع الموضوعى بوعى وصدق فعبر عن آمال الجماهير وتطلعاتها، ليعالج القضايا الآنية والعصرية بكل صغيرة وكبيرة مشحوناً بقضية عادلة، ومعبراً عن موقف واضح وصريح، وعامراً بالمحتوى الوطنى المثير[1].

وبذلك تتواصل رحلته الجادة فى مناجم العظام، والتى تشير إلى موقفه باعتباره شاعراً وطنيا وهب نفسه للشعر، وحب الوطن، والعروبه والإسلام، كما تفصح ذاته الشعرية عن ذلك.

فالدفاع عن الإنسان وكرامته أمر جوهرى فى قضية خلود القصيدة وبقاء أثرها، وهذا متعلق بمدى الإحساس الحقيقى بقضايا الناس، أينما وجدوا وكيفما قاوموا وواجهوا.

وبإدامة النظر فى شعره وجد أن محاور شعر الوطن عنده لها حضور قوى، وهى كالآتى:

المحور الأول: (الحس الإنسانى)

من أهم الأمور التى تجعل القصيدة تتفاعل مع الجماهير تفاعلاً كبيراً، وتعلق آمال استمرار النضال للكلمة الواعية المتزنة لشاعر أدرك برؤية وبصيره واقع أمته وما

(1) انظر الالتزام فى الشعر العربى أحمد أبوقحافة صـ٣٨٧ ،ط دار العلم للملايين بيروت ١٩٨٥م.

يواجهها إحساس الشاعر بمعاناة الناس فى ممارسة حياتهم بحقيقة وواقعية، فلا يعد الأثر الأدبى جيداً إلا إذا عبر بوضوح عن موقف صاحبه من قضايا عصره وأمته، وحس مشاعر أمته وأصبح فاعلاً فيه مؤثراً، وقد كان عرار بحسه الوطني الإنسانى كذلك إذ يدعو إلى التوحد والوحدة العربية ونبذ أسباب الفرقة، ولطالما حذر بني قومه من عواقب تفرق أمرهم، وهذا واضح جلي في قوله مرحباً بفوج من الشباب الفلسطيني عندما زار مدينة إربد، داعيا إلي نبذ الفرقة من أجل الوطن، إذ يقول :

إني أري سبب الفناء وإنما سبب الفناء قطيعة الأرحام
فدعوا مقال القائلين جهالة هذا عـــراقي وهذا شآمـــي
وتداركوا بأبي وأمي أنتم أرحامكم برواجـــــــح الأحلام
فبلادكم بلادي وبعض مصابكم همي وبعض همومكم آلامي[1]

فالتوحد بين أنباء الوطن يقوى القلوب ويسقط الخوف، ويظهر الحقائق ويسقط الزيف، وتشتد السواعد، ويموت القهر، ويصبح الوطن خاليا ونظيفا من السفهاء الذى باعوه على موائد الفساد. فهو ممن تعطشوا إلي الترابط وتوحيد الصف "ولم يكن إقليميا كما وصفه بعض المستغلين، كان عربيا قوميا بكل معني الكلمة" [2]. فما أجمل أن يعبر عن حبه لأمته بقوله :

وكل بلاد يلفظ الضاد أهلها بلادي وإن كانت بمثلي تظلع [3].

ويرفع الشاعر عرار شراع الإنسان ورايته باعتباره هدفاً أسمى، فيلتزم بالكتابة لأجل الإنسان المظلوم فى وطنه، فكل البلاد فى نظره متشابهة فى قهر الإنسان، وقتل البشر، فيري أن الظلمة يسيطرون علي ثروات البلاد، ويستحوزون علي كل خيراتها، ويعملون علي نشر الفقر والأمراض الاجتماعية بين الناس، ليتسني لهم الوصول إلي أهدافهم الخسيسة، لكنه كان لهم بالمرصاد ففضح نواياهم، وألب الناس ضدهم حتي

(1) عشيات وادي اليابس عرار ص٣١٤ .
(2) عرار شاعر الأردن يعقوب العودات ص ٢٨٥ .
(3) عشيات وادي اليابس عرار ص٢٣٣.

أصبح خصما لهم، وعدوا لهؤلاء المفسدين، وثائرا علي إقطاعيتهم المجرمة وأنانيتهم البغيضة، والدعوة إلي قيام مجتمع تعاوني حرّ، مجرد من الاستغلال السياسي والاجتماعي يراعي الفقراء وييسر لهم حياة كريمة عادلة، فجاء شعره ثورة علي المرابين، وأوسعهم هوانا وخسفا إذ يقول:

قولو لعبود لعل القول يشفيني إن المرابين إخوان الشياطين
وانهم لا أعز الله طغمتهم قد أطلعوا رغم تنديدي بهم ديني
كأنما الناس عبدان لدرهمهم وتحت إمرتهم نص القوانين
يارهط شيلوخ من يأخذ بناصركم يجن علي الحق والأخلاق والدين
ومن يسهل آمرا فيه مصلحة لكم فملعون حقا وابن ملعون[1]

إن رؤية الشاعر تنبثق من تلك الهوة الفاصلة بين ما هو قائم من القهر والزيف، وبين ما هو موجود حصوله فى المستقبل، إنها تحمل هم إعادة تشكيل حياة الإنسان العربى، وصياغتها وفق بنى سليمة.

فالشاعر قد شغلته قضايا الإنسان العربى وهموم الأمة وظروفها، وأطماع المستعمرين فيها، مما يؤكد انتماءه لهذه الأمة، والتزامه بقضاياها وهذا نابع من حبه العميق للوطن والإنسان، فهو يرفض ان يعيش شعبه كالعبيد في بلادهم وإنما أراد لهم حياة كريمة كالليث في عرينه، حيث أدرك أبعاد الخطر الاستعماري وأساليبه في الاحتيال بتوقيع العهود والمواثيق، فراح يوجه النصح للحكام بعدم الاطمئنان لما يقولون، ثم يحمل علي الذين يتخذون البكاء وسيلة للتعبير عما أصابهم دون رفض أو مواجهة، إذ يقول:

هيه يارمز الأماني والمني إنهم حيات رقطاء تفح
لا يغرنك تقبيلهم يدك اليوم وتقريظ ومدح
فغدا سوف تري موقفهم منك يامولاي إن أبرم صلح
فثري الأردن إن لم يرو من مائه الفياض لن يرويه ميح
ونذرت الصمت لما قيل لي من يقول الحق يؤذي ويدح

(1) نفسه ص٣٨٥ عبود :شيخ الحضرة الأميرية في قصر الإمارة .

أنا إن أصمت فصمتي حسبه إنه صوت الأرقاء الأبح
أيها الباكـي علـي أوطانـه لا يرد الروح للميت نوح
بارك الظلم وصفق للأذي فهما نصر من الله وفتح [١]

علي الرغم من الدعابة والسخرية، وخفة الروح التي تظهرها الأبيات إلاأنه كان حاضر البديهة، رقيق الشعور، وغالبا ماكان يخفي وراء ذلك كله غما وهما يوحيان بحبه الكبير لوطنه الذي ولد في نفسه العزيمة والتصميم علي إيصال صوته لذوي الشأن بجرأة وشجاعة، حين يصرخ بأعلي صوته من أعماقه في وجه حاكمه معلنا رفضه لما يمر به وطنه من خسف وانتهاك إذ يقول :

مولاي شعبك مكلوم الحشا به من غض طرفك والإهمال داءان
مولاي إن المطايا لاتسير إلي غاياتها إن علاها غير فرسان
لقد تنكر لي أهلي وأنكـرنـي صحبي وأقرب من أدنيت أقصاني
أفول هذا صادق صديق فإذا بعد التجارب بـي أمـني بخـوان[٢]

إنها جرأة وشجاعة نادرة من شاعر يقف في وجه حاكمه، وخلق نبيل من حاكم يقدر ويثمن إحساس الشاعر، ويقدر مشاعره تجاه وطنه، وهذا يدل علي المصداقية التي تميز بها الشاعر في شعره، مما يعكس جرأة الشاعر الوطنية، ومساحة الحرية العريضة التي منحها له الأمير عبدالله بن الحسين .

فالإنسان فى شعر عرار هو المعول عليه بعد الوطن، فحبه لهذه الثنائية الإنسان/الوطن، قد شغلته واستحوذت على مساحة ليست بالقليلة من شعره.

فالشاعر لا يمكن أن يحصر عمله فى دائرة الذاتية، لأن هذا لا يتسنى له إلا إذا غاب فى شعوره عن كل شئ حوله، وهو فى هذه الحالة لا يستطيع التعبير الشعرى، ولا يتمكن من صوره الإيمائية، لأن هذا التعبير التصويرى ليس فراغاً وإنما يعتمد على

(١) عشيات وادي اليابس عرار ص٩١-٩٢ .
(٢) عشيات وادي اليابس عرار ص٢١٥ .

الموضوعات إلى تحيط به، وهو ذو صبغة إنسانية، والشاعر لا تنقطع صلته بالحياة والمجتمع، بل توحى تجربته باتخاذ موقف ذى أثر فى دلالته الاجتماعية والإنسانية[١].

فهو لايأبه بما يصيبه من سجن ونفي وعزل عن العمل، حيث كان همه إثارة الحمية والدعوة إلي الثبات لتحقيق النصر المحالف للأحرار، إذ يقول :

وعش رغم القوانين التي آذتك سلطانا
فمثلك من تمرد كلما ساموه إذ عانا
لعمر الحق لن يتنكب الإخلاص خذلانا
وسوف يظل سيف النصر للأحرار معوانا
وقل إن قيل لا عفو لعل العفو لا كانا
فعين العزم ترمقنا وعين الحزم ترعانا [٢]

هذا الموقف قد يعبر عن آمال واسعة تدعمها فطرته النقية وتجربته الشعرية الصادقة وحبه الصادق لشعبه ووطنه، هذا الحب الإنسانى الكبير الذى يدل على شاعر صفت روحه، وهامت نفسه فى ملكوت الحرية، وحلمت بالأمانى مع المنى، يأتى حب الوطن فى تصوير واضح ورائع لمشاعر وأحاسيس حقيقية، صاغها عرار فى تجارب شعرية ثرية وغنية بالحنين الدائم، والارتباط العاطفى بوطنه الأردن، الذى يفيض بالحنان فى زمن مات فيه الوفاء، والأمان فى أرض ساد فيها الأشقياء، فجماله سيبقى رغم كل التقلبات، فهو يستمد سعادته من الأرض والوطن الذى هو ملاذه الذي يجد المسرة في قربه منه والتصاقه به، فأي مساس بالوطن يؤرقه ويشقيه، فقد صار الوطن مصدر سعادته ومبعث شقائه، فعندما يضنيه ضيم الوطن يجد ما يفر إليه، مادام لايمنحه إلا مايحبه ويعشقه ولا يتمنى إلا بيتًا من الشعر حوله قطيع من السرحان تسرح حوله إذ يقول :

موطني الأردن لكني به كلما داويت جرحا سال جرح
وبنفسي رحلة عن أرضه عله يشفي من الإرهاق نـــزح

---

(١) النقد الأدبى الحديث د. محمد عنيمى هلال ص٤٦١.ط دار النهضة العربية مصر سنة ١٩٦٤م .
(٢) عشيات وادي اليابس :عرار ص ١١٨ .

إن أري لي بيت شعر حوله من شلايا قومك السرحان سرح[1]

فمنية الشاعرلايمكن فهمها إلا في ضوء محبته المتأصلة للأردن، وليس نزحه الذي يتمناه عن أرضه إلا صدي تتردد فيه أصداء حبه لها، وهو حب يعاود الحديث فيه من جديد ضمن حديثه عن أرض حوران وأهلها أهل المروءة والوفاء إذ يقول :

فما مثل الحياة بأرض بر بها أهل المروءة والوفاء
وإن أسكن أخي ببيت شعر بعرض الفقر في وسط الخلاء
ومن حولي أناس ذو قلوب صفت واد غلي بلا مراء
لخير من قصور شاهقات كحصن قد أحيطت بالبناء
بحوران اجعلوا قبري لعلي أشم أريجها بعد الفناء[2]

لقد عبر عرار في قصائد شعره عن حالات إنسانية متنوعة من خلال حبه الوطنى، حالات الحب والكره، الظلم والرأفة، والشعر الجيد هو الذى يقوم بهذه الوظيفة بغض النظر عن زمانه ومكانه، والوصول إلى البشر فى كل زمان ومكان. فكانت رسالته الشعرية التى أراد لها أن تنطلق من هموم وأحاسيس الناس الإنسانية والذاتية، وأن تكون واضحة المعالم دون أن تتلون أو تتشكل حسب رغبة الناس، ولكن حسب رؤيته ومفهومه، فكانت قصائده للناس وللمجتمع، تعالج مختلف القضايا التى تمس الإنسان الأردني بصورة عامة، والإنسان العربى خاصة، فجاء شعره الإنسانى يحمل بذور واقعه بعيداً عن دفاتر النظريات، وحماسة الشعارات، إذ يقول مصوراً الظلم والقهر الذى يعانيه شعبه من بغي الطغاة المستعمرين، ومايلحق بشعبه من عبث المرابين، وأفاعيل المنافقين، ومنها مايلحق بوطنه من أخطار تداهمه من الخارج والداخل، فما كان منه إلا أن فرّ إلى الخمر بعد أن يئس من شعبه الذي لا يدرك ما يحدث حوله من أخطار ومؤامرات وقد نبه الشاعر قومه لخطورتها إذ يقول :

([1]) عشيات وادي اليابس ص ١٥٠ . السرح: المال السائم ، السرحة : الأتان أدركت ولم تحمل .القاموس المحيط ص٢٨٦ مادة :(سرح).
([2]) نفسه: ص ٥٣١ .

هاتها واشرب فقومي كاد من فرط إيقاظي لهم صوتي يبح [١]

فالشاعر يري أن مايتهدد الوطن والشعب يتهدده بالطبع، ولا فرق في الحرص علي إيقاعه به بين مستعمر، أو مراب أو منافق، فكلهم في سوء الفعل سواء في إفسادهم الوطن والتضييق علي المواطن وضياع حقوقه إذ يقول :

والشعب أضيع عندهم من سائل قذر يمد زراعه للئيم [٢]

هذه الاستباحة لحقوق الوطن والمواطن عبر عنها الشاعر بتلقائية للعاطفة المتنامية فى ذاته، والتى فجرتها فى نفسه العلاقة المتوترة بينه وبين الزمان الذى يعيش فيه مع ثلة من المرابين والمنافقين، فتدفعه إلى الثورة والتمرد على هذا الواقع المظلم الذى يدفن الإنسان فى أشلائه قهراً أو كبتا، ويغوص بجبروته فى دم ضحاياه.

فالشاعر العظيم هو من كبرت هموم الناس فى خلده، فاحتواها بفكره وقلمه وقلبه، وراح عبر إيحاءات المثالية يرسم للمعذبين سبل النجاة تحت ضغوط القهر والمعاناة.

وقد كان عرار كذلك حيث صور فى شعره غربة الإنسان العربى فى الحياة، والحصار المضروب على أفكاره فى ساحة تعج بالتيارات العنيفة بالفكر الضال، ودعاه إلى التمرد على كل أشكال القهر والظلم، وإلى الحرص على المقاومة والتحدى، مضفيا على شعره صياغة الإنسان الحر الذى خلقه الله طليقا، وصاغه فى أحسن تقويم بعيداً عن أغلال الذل والهوان، محذرا أميره من هؤلاء المدلسين الذين يبدون الحسني ويفعلون فعل الحية الرقطاء، مبينا مدي خطرهم علي الوطن وشعبه إذ يقول:

هيه يارمز الاماني والمني إنهم حيات رقطاء تفح
لا يغــرنك تقـبيلــهم يدك اليوم وتقريظ ومدح
فغدا سوف تري موقفهم منك يامولاي إن آبرم صلح[٣]

---

(١) عشيات وادي اليابس ص ١٤٩.
(٢) السابق ص ٣٠٥.
(٣) عشيات وادي اليابس ص ١٥٤.

استطاع الشاعر بقدرته الشعرية على تجسيد الأفكار والمشاعر فى صور شعرية قوية تنفذ إلى القلب والروح، فيصبح الشاعر بحسه الإنسانى صاحب دعوة وفكر ورسالة يؤديها بواسطة الأسلوب الفنى، والمشاعر الصادقة المؤثرة فى السامع والقارئ فيزيده حباً وشوقاً لأسمى القيم الإنسانية وهى الحرية، وتطبيب عذابات الإنسانية، فيقف شامخا بكلماته في مواجهة الأشرار، دون أن يأبه لما يمكن أن يحدث له من جراء مواقفه الوطنية :

فمن سجن إلى منفى ومن منفي إلى غربة
ومن كر إلي فر ومن بلوي إلي رهبة
فبي من كل معركة أثرت عجاجها ندبة
تعالي الله والأردن لابغداد والرطبة (١)

فالشاعر يعبر عن روح البوح الذاتى، الذى يمثل سمة وجدانية، فعلى الرغم من معاناته مازال يرسم الأغانى الجديدة من نزيف الجرح، ويبنى فى سجون القهر والظلم أياماً حالمه بالحرية، ويكتب على الرغم من جراحه أنغاماً شريدة.

ففى تكراره لكلمة "منفي" ليؤكد معاناته للتأثير فى متلقيه، وإحداث التجاوب النفسى المطلوب، وهذا ما يجعلنا نلمس فى شعره مسحة من الصدق النفسى والمعاناة الأليمة من أجل الآخرين، وتناسب بين الألفاظ والمعانى مما يجعله أكثر تحريكا للنفس وتأثيراً فيها.

ويضرب الشاعر عرار على وتر من أوتار الحس الإنسانى من خلال حديثه عن قومه الذين وفوا للوطن حقه بعد أن قدموا للمشانق وهم ثابتون علي مبادئهم الوطنية، مما يدل علي حب غامر للوطن، والتضحية من أجله بالنفس في ثبات وإقدام إذ يقول:

نحن الألي قد وفينا في مودتنا يوم الرفاق تنادوا يالقحطان
وعلقوهم علي الآعواد ما علموا آن العزائم لاتنثني بعيدان(٢)

(١) عشيات وادي اليابس ص٤٣٠ .
(٢) نفسه: ص٣٨٢ .

عـاش الشـاعر عـرار يـدافع عـن المقهـورين فـي الارض، دون أن يلتفـت لآراء الآخرين الذين لمزوه بألفاظهم القبيحة لقربه من عامة الشعب، وكثيرا ماكان يريد أن يبعد عن الناس فكرة المستوي الدوني للنّوَروقد ألفاهم طبقة مسحوقة اجتماعيا، ففي قصيدته (العبودية الكبري) قال محتجا علي المدعي العام الذي منع (الهبر) وهو من الطبقة المسحوقة اجتماعيا من السلام عليه، إذ يقول :

يا مدعي عام اللواء وأنت من فهم القضية
الهبر جاءك للسلام فكيف تمنعه التحية ؟
ألأن كسوته ممزقة وهيئته رزية
قد صده جنديك الفُظ الغليظ بلا روية
وأبى عليه أن يراك فجاء ممتعضا إليه
ويقول إن زيارة الحكام لا كانت بلية
فأسرع وكفر ياهداك الله عن تلك الحطية
فالهبر مثلي ثم مثلك أردني التابعية (١)

فالشاعر يرمي إلي قضية الانتماء للوطن فكل من يعيش علي أرض الأردن بيسرها وعسرها له الحق أن يتمتع بالجنسية، حتي ولوكان من النّوَر

وهذا ما يرمي إليه بقوله:

فالهبر مثلي ومثلك أردني التابعية .

ويصور الواقع المظلم الذى تعيش فيه الأوطان حالة من الدمار، والتمرغ فى المذلة والمتربة بين أيدى الكبار فينقد المرابين والمترفين الذين لبسوا مسوح المسيح ليخدعوا الشعوب، ويقتلوا فى نفوسهم كل أمل للخروج من هذا التيه، وشبعوا علي حساب لقمة عيش الفقير، إذ يقول مخاطباً صديقه الهبر بأسلوب ساخر :

ياهبر بي فقر كفقرك للإباء وللحمية

(١) عشيات وادي اليابس ص٤٣٤-٤٣٥

أو ماتراني قد شبعت علي حساب الأكثرية
وأكلت بسكوتا وهذا الشعب لايجد القلية
ولبست إذ قومي عراة غير مانسجت يدية [1]

فهذه الشاعرية ذات الحس الإنسانى والتى بلغت ذورتها أنغاماً حزينة تذيب القلوب، عبر مفرداته المدوية الساخرة التى تخترق حواجز الزمن مثل قوله: "فقر، لايجد القلية، عراة "لتلقى علينا وابلاً من الحزن الذى يخرج بعفوية دون تكلف.

وعلى هذا المنوال يتحرك الشاعر بين قصائده على طريق مفعم بالصدق والحرارة، إذ نجده يفتح الباب الموصد على مصراعيه، وبلغة شاعرية تتألق فيها الصورة والمضمون يضع القلق الإنسانى تحت المهجر، متحدثا عن الزمن العفن الذى يعيش فيه هذا الإنسان المغيب، فيلقي بنقمته القائمة علي التحدي لهؤلاء المفسدين، إذ يقول :

والأمر لوكان بيدي لم تفرحوا أبدا من آجل دَيْنٍ لكم يوما بمسجون
فبلطوا البحر غيظا من معاملتي وبالجحيم إن استطعتم فزجوني[2]

فهذه الواقعية – ذات الحس الإنسانى والوطنى – التى اتسم بها شعر عرار، والنابعة من كل ما يشكل وجدان الأمة وفكرها وقيمها، وما تكابده وما تواجهه من الحياة الحقيقية التى يعيشها الإنسان العربى فى كل مكان حيث يصور واقع المجتمع بكل أبعاده، مما يعنى أن عطاء الشاعر يشكل إضافة مهمة لرصيد الشعر الحديث الذى يخضع – ككل التجارب الإنسانية – لمصفاة التاريخ، فيبقى منه ما يعيش مؤثراً فى الأجيال القادمة.

فى هذا الجو المشحون بالحس الإنسانى لم ينس الشاعر عرار مشاعره تجاه قضاياه الخاصة، ولم يباعد التزامه بالقضايا العامة بينه وبين شجونه، فيتحدث عن

---

(1) عشيات وادي اليابس ص٢٦ .
(2) نفسه: ص٤٩ .

العدالة الاجتماعية والمساواة بين أفراد المجتمع ويعلي من شأنه من الطبقات المهمشة إذ يقول:

بين الخرابيش لاعبد ولا أمة ولا أرقاء في أزياء أحرار
ولا جناة ولا أرضا يضرجها دم ذكي ولا أخاذ بالثار
بين الخرابيش لاحرص ولا طمع ولا احتراب علي فلس ودينار
الكـل زط مسـاواة محقـقة تنفي الفوارق بين الجار والجار
بين الخرابيش لاكذب ولاملق ولا وشاة ولارواد أخبار[1]

فهذه النزعة الذاتية القائمة على التحدى لواقع يرفض فيه الشاعر أن يغدوا لصاً فى سوق التجار، محاولاً أن يبقى قريباً من واقعه إلى درجة الالتصاق بالإنسان والمجتمع، محاولا تحقيق الخير والعدل بين كل طبقات المجتمع ومواجهة الأمراض الاجتماعية، كالجهل بطباع أهل الفساد والانخداع بمظاهرهم الكاذبة، فيحذر من الانخداع بالمظاهر وعدم الحكم علي الناس بمظاهرهم الخادعة إذ يقول:

ماكل زحرفة إباء وكل خطب عنجهية
كم فارس هو في الحقيقة عند راتبه مطية
ومدجج قاد السرية وهو قواد السرية [2]

فالشعور بالمأساة صفة تلازم كل من يتفاعل بصدق مع واقعه، إنها حالة منسجمة مع طبيعة النفس الإنسانية وليس من الضرورى أن تسوق صاحبها إلى التشاؤم والشعور بالضياع.

وهكذا تميزت أشعار عرار بحسها الإنسانى النابع من اتجاه وطنى معبر عن واقع صعب يعيشه الإنسان العربى، وكمية المعاناة التى يواجهها، فحرص على تنبيهه وتثويره، وتوجيه طريقه واستنهاض همته لمواجهة كل الأخطار المحدقة به متأثراً ومؤثراً.

ويواصل الشاعر حديثه الإنساني من أجل الوطن وحبا في المواطن فيتناول قضية تهم الأسرة العربية وهي قضية الجهل عند كثر من الفتيات اللاتي يتم خداعهن من قبل

(1) عشيات وادي اليابس ص٥٧ .الخرابيش : مجتمع النوَر ،والغجر .
(2) عشيات وادي اليابس ص٢٨.

الشباب المستهتر فتكون المأساة . فيقف إلي جانب المرأة ويناصرها ويدافع عن قضاياهان ويري ان المجتمع لم يرحم المراة ونظر إليها نظرة بعيدة عن التراحم والتواصل، فيطرح أنموذجا للمرأة النورية التي امتهنت الرقص من أجل لقمة العيش، فيبدا حديثه بالتساوي بين الرزيلة والفضيلة في عرف أبناء عصره، فيصف هذه المرأة قائلا :

غنت فذكرني تجا وب صوتها رجع الحمام
وتمايلت فأمال عقلـ ي في تثنيه القوام
يابنت من أمرها لما تعاوجت استقام
لولا الرغيف وفقر أهلـ ك واحتياجك للطعام
هل كنت ترضين الحيا ة كذا وفي هذا المقام [1]

يرسم الشاعر لهذه المرأة صورة إنسانية في وجدانه، يرى فيه أنها لجات إلي الرقص بحثا عن الطعام فحق لها أن تستحق التعاطف، فالابتذال الإنساني الذى جسدته صورة المرأة يستحق أن يراجع وأن يحتفي به، لأن في ذلك امتهانا واضحا لإنسانية الإنسان وهذا ما كان يرفضه عرار لأنه عاش أبيا ومدافعاعن كرامته وكرامة وطنه. ويبدو أن الظروف المتشابهة التي عاشها الشاعر جعلت مواقفه ذات رؤية تنويرية مخالفة لرؤية المجتمع ومشيرة إلي عيوبه وفساده .

(1) عشيات وادي اليابس ص٣٤٦.

المحور الثانى: (الحس الوطني)

يبدأ الحس الوطنى لدى الشاعر من مسلمة لديه يعدّ فيها الوطن شيئا مقدساً، فالوطن فى نظر الشاعر هبة الله العزيزة على القلب لأنها أعطيت على أساس التأهل، أى أن الوطن بمنزلة الأمانة الإلهية لمن يصون تلك الأمانة، ويحافظ عليها مهما كلفت التضحيات، لا بدافع المنفعه ولكن بدافع الحب الخالص.

وبالنظر فى شعر عرار نجده أعطى القضايا الوطنية أهمية وعناية خاصة فى شعره، فحب الوطن يسرى فى دمه بين شرايينه، وينبض به قلبه وقلمه، فعندما تعرض لضغوط وإغراءات كثيرة من أجل الرحيل إلي أي بلد مجاور كدمشق والقاهرة وبغداد أبي مفارقة وطنه، لأنه ينظر إلي ذلك بعين البديل عن الوطن، فزاده هذا العرض تعلقا وتمسكا بالأردن معبرا عن ذلك بذكره لأوديته وسهوله وهضابه، مع تذكير بمواطن الفرسان الذين لم يقبلوا مهادنة الاستعمار، إذ يقول:

يا آخت رمّ كيف رمّ؟ وكيف رحال بني عطية ؟
هل ماتزال هضابهم شُمّا وديرتهم عذية
وتلاع وادي اليتم ضا حكة وتربته سخية
وسفوح شيحان الأغن بكل يانعة سخية
سقيا لعهدك والحيا ة كما نؤملها رضية
أيام لم يك للفرنجة في ربوعك أسبقية[1]

ومن شدة تعلقه بأرضه ووطنه يوصي بأن يدفن في مسقط رأسه لتسكن نفسه، وتستقر روحه، ويشعر بالأمان، حيث يعشق كل ذرة من ثري الأردن إذ يقول:

يا أردنيات إن أويت مغتربا فانسجنها بأبي أنتن أكفاني
وقلن للصحب واروا بعض أعظمه في تل إربد أو في سفح شيحان [2]

(1) عشيات وادي اليابس ص٤٣٧.
(2) عشيات وادي اليابس ص٣٨٣.

ويبلغ التلاحم أشده حين تمتد عاطفة الشوق لتحتوى تاريخ الوطن المفعم بالأمجاد، فى الوقت الذى تتجسد المشاعر والأحاسيس فى كلمات تحمل كل معانى العشق والانتماء والتكريم للوطن، إذ يقول:

قســـــما بماحص والفحيص وبرد مـــــاء الحمّـــــر
إني إلي تلك الربـــــوع وحســـــنها المتـــوفـــــر
شـــــأظل نضـــــو تشـــرق وتـــذكـــــر وتحســرّ[1]

فهذه الرؤية الحالمة والمفعمة بكل معانى الحب والانتماء تحتاج إلى وسائل فنية للتعبير عنها، فجاء القسم معبرا عن صدق انتمائه لوطنه، وإخلاصه في وصف مظاهره الطبيعية بنحو يغدو فيه الوطن منها عنه ماثلا أمامه والنائي منها عنه في حضرته يشاهده .

لذا حين يشير الشاعر إلى توحده مع الوطن بكل أبعاده الماضية والحاضرة فإنه لايقسم بالذي يذكره وحسب بل يتخطاه ليقسم بالحصن ووادي السير فيصبح الشاعر ولهاً، وتصبح مظاهر وطنه الطبيعية هي الملهمة، إذ يقول:

أقسم بالحصن ووادي السير والرشأ المهفهف الغرير
لست إذا ماقيل: بالبنجور أحضر بمن يرغب في الحضور[2]

فالشاعر تواق دائما إلى هذا الوطن المتمثل فى مظاهره الطبيعية والتي ترسم صورة قوية لهذا الانتماء القائم فى نفسه تجاه وطنه، حيث يستمد سعادته من الأرض بكل مظاهرها الطبيعية والوطن الذي إذا ماابتعد عنه يشعر بأن الأرض سدت في وجهه إذ يقول :

سدت الأرض بوجهي باب إمكان الهناء
والسما أحسبها كالأرض يعنيها شقائي[3]

---

(1) نفسه : ص٣٤٦.
(2) عشيات وادي اليابس : ص٢٣٧.
(3) عشيات وادي اليابس : ص٤٣٣.

فالشاعر عرار لا يستطيع اعتزال مجتمعه ـ فهوالشاعر المثقف الواعي بأبعاد المؤامرة ـ والابتعاد عن قضايا الناس ومشاكلهم وهمومهم وآلامهم، فهو كما يرى طه حسين" إن الأديب كائن اجتماعى، لا يستيطع أن ينفرد، ولا أن يستقل بحياته الأدبية، ولا يستقيم له أمر إلا إذا اشتدت الصلة بينه وبين الناس، فكان صدى لحياتهم وكانوا صدى لإنتاجه"[1] فالعلاقة بينهما جذرية ولا يمكن لأحدهما أن يستقل فى وجوده عن الآخر، فالأديب يستل مادته من الواقع الذى يعيش فيه ويرتبط به، وأفراد المجتمع يجدون صورتهم منعكسة فى أدبه، لذا كان حسه الوطنى عالياً فى ندائه عندما وقف موقف الناصح الأمين للأمير عبدالله بن الحسين مستخدما لغة عامية في ذلك، وهاجم الانتداب البريطاني، وحذر من الطمأنينة لهم إذ يقول:

هلمّى ليس من شك بأن الدرب من هُونَه
فبرنـــادوت طـــــرماد كشـــــرتو ابن غوريونة
ومن يأتمن الإفرنج ملعون ابن ملعونة [2]

ويحذر من خدع وأساليب الانتداب البريطاني فيقول :

إن الوعود التي منوا وماصدقوا بها علينا لعمري كُنّ بُهتانا
فحسبنا من وعود القوم مادَغلوا علي الأعاريب أشكالا وألوانا
إنا ضحايا لهذا المَين مِينِهم من يوم حطين حتي اليوم والآنا[3]

ويرمي باللوم علي الزعامات العربية المسؤولة ويتهمها بأنها أضاعت البلاد وشعوبها، بسبب مصالحها الشخصية وهي السعي وراء المناصب والزعامات الخاوية إذ يقول :

كم صحت فيكم وكم ناديت من ألم فلم تصيخوا لصيحاتي وأناتي [4]
والله ماغالكم واجتث دوحتكم بين الشعوب سوي حب الزعامات

---

(1) فلسفة الالتزام فى النقد الأدبى بين النظرية والتطبيق فى د. رجاء عيد ص ٩٥.
(2) عشيات وادي اليابس : ص٤١٢.
(3) عشيات وادي اليابس : ص٣٤٩.
(4) نفسه : ص١٤٢.

وأحيانا يتوجه بالنقد الساخط للحاكم، مما سبب له الكثير من العنت إذ يقول :

فاختفي الإنصاف والظلم فشا وأشف الحكم فاستوزر وقحُ [1]

ولا ينسي أن ينصح الحاكم بأن يعتمد علي الأردنيين في شؤون البلاد إذ يقول:

فثري الأردن إن لم يرو من مائه الفياض لن يرويه مَيحُ[2]

ويعتب علي أمته أنها لم تناهض المستعمر ولم تحافظ علي الارض:

فليتق الله بي شـــعب محبتـــــه كـــــــانت ومابرحت ديني وديداني
على مذابح قولي: سوف أسعده ضحيت عمري فلم يسعد وأشقاني [3]

إلا أنه عندما وجد نفسه غير قادر علي هذا الواقع الأليم ركن إلي الخمر لكي ينسي مالا قدرة له عليه منفردا إذ يقول :

فادر كؤوسك ياأبا ناصيف مترعة رويه
وأحل مقال الشيخ إن أفتي بحرمتها عَليّه
إن الذي تسبي موا طنه تحل له السبيه[4]

لقد تميز الشاعر عرار بحب غير منقطع النذير للأردن والأمة العربية وكان همه رفع الظلم عن شعبه وتحقيق العدالة والمساواة بين كل طبقات الشعب ، هذا الهدف الذي طالما تألم وعاني الكثير من أجل تحقيقه إذ يقول :

يارب ليل لقد أرهقته أرقا مما أعانيه من كيد المناكيد
إن كان من يعرب فيكم دم فلقد من بعضه حان وقت البذل والجود[5]

فالشاعر يذكرهم بالماضي الجميل، ويذكرهم بآصرة الدم، ويبث رهذه المشاعر الجميلة من خلال شكواه وأنينه، حين يخاطب (جميلة النورية، التي يعبر من خلال

---

(1) نفسه : ص١٦٣

(2) نفسه : ص١٦٤ . الميح : مشي البطة، والميح في السقيا : أن ينزل الرجل إلي قرار البئر إذا قل ماؤه . لسان العرب لابن منظور ج/٥٥٣ .

(3) عشيات وادي اليابس : ص٣٨٠. الديدان:العادة .القاموس المحيط ص١٥٤٣ .

(4) نفسه :ص ٤٣٥.

(5) نفسه :ص ٢٤٥.

حديثه لها عن مشاعره تجاه وطنه الذي يرثي لحاله، وكانت وسيلته فى ذلك النداء الذي بدأ به أبياته، مما يبرز رغبته الملحة فى الرجوع بهم إلى الزمن الجميل، وتوطيد علاقتهم بالوطن والرجوع بها إلى سابق عهدها.إذ يقول:

يا أخت سلمي في غناك عذوبة تبكي ويغرق دمعها أحزاني
ماشمت ومض اليأس في نبراتها إلا استبنت بشجوها ألحاني
ورأيت في مرآة بؤسك صورتي وقرأت فوق إطارها عنواني
وعرفت ما أنت فيه من الأذي ومن الصغارة والهوان هواني
أهلوك قد جعلوا جمالك سلعة تشري وباع بني أبي أوطاني
وذووك قد منعوك كل كرامة وأنا كذلك حارسي سجاني[1]

ويري الشاعر أنه بسبب حبه المتدفق لوطنه، انه شاب قبل أوانه لشدة ما أصابه من حسرة وحرقة علي ما أصاب وطنه ، فاستحوذ عليه اليأس، وتملكه التشاؤم، من أولئك الذين تنكروا للوطن، فوطنه في عالم أسمي حيث لايصل إليه الأذى أينما وجد من يدافع عنه بقوة وجسارة حتي لايكون لقمة سائغة بين أضراس أعدائه، إذ يقول :

وتوسدي صدري وحسبي نعمة هذا الذي توحين من خفقانه
مالي ودنياهم فحبك عالم أسمي ولن يصل الأذي لكيانه
من لم يكن ذئبا فإن زمانه يغري به العشرات من ذؤبانه[2]

لقد عمقت قصائد عرار إحساساً بالقضايا الوطنية، والتجربة الإنسانية، ووظفت قصائده الحدث بشكل أقام علاقة منطقية بين الشعر والحياة، وبين الإنسان والحدث.

ويحدد الشاعر عرار بوضوح الهوية الطبقية للجماهير التى يخاطبها وهى دائماً جموع الكادحين الشرفاء، أولئك الذين يتعذبون فى داخل الوطن وفى خارجه، لذا كان من حقه أن يغنى لهم، ويدافع عن حقوقهم، وأن يحلم معهم بوطن يسوده العدل والطمأنينة فى ظل واقع فاسد، إذ يقول:

فالقوم قومي وهذا موطني وأنا من تالد أسال الغوغاء إحسانا

---

(1) عشيات وادي اليابس :ص ٣ .
(2) نفسه :ص ٩٥ .

والناس كالكأس رجس والوجود كما أيقنت حملانه بالفتك ذؤبانا
والكون غيل لعمري لست فيه أري غير السعالي تناجي اليوم غيلا[1]

لقد ملكت الأردن علي الشاعر كل مشاعره وأحاسيسه، وغدت قضايا الوطن مثار اهتياجه وتركيزه، راصداً بحدقتته الثاقبة ما يدور حوله من قضايا تخص الوطن، ومتحملاً مسئوليته بصدق وأمانة نابعة من وجدان وطنى، فيبكي ماحل بالوطن علي يد المستعمر حتي جفت مآقيه، إذ يقول :

قد أنضبت أدمعي من عيني نوب تبكي وتضحك قد حلت بأوطاني[2]

إن موقف الشاعر عرار من مقاومة الاستعمار يعد جزءا هاما من الهم الوطنى عنده، لأنه يشكل منعطفا تاريخيا خطيراً فى تاريخ الأمة العربية، وذلك عندما مكن الاستعمار لليهود في فلسطين، ولأنه يمثل اعترافا بالأخر لأول مرة وبوجوده الشرعى على تراب فلسطين المحتلة، لذا انعكس أثرها فى شعره بقوة، ولم يسعه إلا أن يتفجع لمصيبة لايملك لها ردا، إذ سجل حسه بها قائلا :

إن فاز بالغنيمة اليهود
فحوضهم لاحوضك المورود
وظلهم لا ظلك الممدود
وسعيهم لاسعيك المحمود[3]

ويدين هذه الاتفاقية لأنها فى نظره تعد صك امتهان للعرب، ، وعلى بقايا المجد العربى العريق ترتع نجمة سوداء وترسم صورة العجز العربى، باعثة بين ربوعه الشتات وفرقة الأبناء، فيذكر القادة العرب أن عملاء الانتداب هم مأساة الوطن أينما حلوا، وهم يعملون لصالح الصهيونية، ولو أظهروا غير ذلك، إذ يقول :

واعطف علي الجندي واستشهد مواطننا محمد

---

(1) عشيات وادي اليابس :ص٤٦ .
(2) نفسه :ص٣٧٣.
(3) نفسه :ص١٧٨.

واسأل فردريك بن بيك إذا شككت بذاك يشهد[١]

فى ظل هذا الواقع المهيض يرى الشاعر أن ما جرى من اتفاقيات ليست إلا تكريساً للاحتلال الصهيونى، و ضياعا للثوابت، ودماء الشهداء، وأنات الجرحى الذين قضوا دفاعاً عن الوطن ضد العدو الصهيونى الغاشم، فيدعو إلي الثورة والترحيب بأعواد المشانق، في سبيل الحرية والوطن، إذ يقول:

نحن الألي قد وفينا في مودتنا يوم الرفاق تنادوا يالقحطان
وعلقوهم علي الأعواد ماعلموا أن العزائم لاتثني بعيدان[٢]

ثم يتساءل الشاعر عن وجود من لاحق له بالوجود علي الأرض العربية، إذ يقول:

وسفوح شيحان الأغن بكل يانعة سخية
آيامٌ لم يك للفرنجة في ربوعك آسبقية
والعلج ماانتصبت له في كل موماة بنّية [٣]

ويواصل اهتمامه بقضايا الوطن ويتفاعل مع أحداثها من أجل الوصول بالإنسان الأردني إلى حياة فضلى، وحظ أوفر، ومستقبل أفضل، والنضال المستمر نحو الأحسن، ومن هنا بدأ الصراع المرير بين الإنسان العربي الواعى الذى يريد أن يحمل العبء ويكون لائقا بإنسانيته وبين القوى التى تعمل على استعباده[٤].

مما شغل الشاعر نفسه بالدعوة إلي المقاومة والكفاح لكشف المخططات الاستعمارية والاطماع الصهيونية، وإقناع الناس بضرورة مجابهتها إذ يقول مخاطبا شيخه (عبود) ويندد باليهود :

فحسبنا لبعضنا نكيد
ضل غوي واهتدي رشيد
إن فاز بالغنيمة اليهود
وظلهم لا ظلك الممدود

---

(١) عشيات وادي اليابس :ص١٩١.
(٢) نفسه :ص٣٨٢.
(٣) نفسه :ص٤٣٨.
(٤) انظر الشعر والثورة جلال الخياط ص ٥.

فحوضهم لاحوضك المورود
وسعيهم لاسعيك المحمود
فليهنك القيام والقعود
ويهنك الركوع والسجود
وسبحة حباتها تزيد
علي مصابي بك ياعبود[1]

وقد جاء شعر عرار معبراً عن هذه الإرادة، ومصوراً معاناة الشعب العربي ممثلة في الرمز بشخصية شيخه عبود تحت وطأة اليهود حيث الظلم والقهر والطرد والتشرد والبعد عن الظل الممدود والحوض المورود والسعي المحمود وتبديل الهوية من مواطن إلي لاجئ .

فالشاعر يعبر عن هذه المعاناة وما يتبعها من استلاب معنوي للحقوق، وعدم القدرة علي استرجاعها، مما يحبط النفوس ويؤدي بها إلي يأس شديد إذ يقول:

قد قلوت القيل والقال وما ليس لي فيه غني أو منه ربح
ونذرت الصمت لما قيل لي من يقول الحق يؤذي ويدح
أنا إن أصمت فصمتي حسبه أنا صوت الأرقاء الأبح
أيها الباكي علي أوطانه لايرد الروح للميت نوح[2]

لم يكن الشاعر عرار لينعزل أو يتأخر عن الزخم الشعبى الدافق، إذ حوّل قصائده إلى خيول امتطى الثوار صهواتها، وصاغ من غضبهم قوة لدفع المسيرة، إذ يقول مخاطبا الشعب الأردني والعربي وحاثا علي الاستقلال والحرية عبر عدة أوجه ضد الاستعمار والانتداب إذ يقول :

لاتحسب الجرح فيمن لايضج أسي ياكوكس مندملا فالضيم نكاء
والحق لابد من إشراق طلعته مهما استطالت علي أهليه ظلماء
وقوة الضعف إن جاشت مراجلها تنمرت نعجة واستأسدت شاء[3]

---

(1) عشيات وادي اليابس :ص١٧٧.
(2) عشيات وادي اليابس :ص١٦٤-١٦٦
(3) نفسه :ص١٠٢، ١٠٣

فى ظل هذا الاهتمام بقضايا الوطن، وقوة التلازم العميق بينها وبين الشاعر، شكل عرار نصوصه الشعرية وتوهجت شعلته وهو يؤدى لحن العاشق لوطنه الذى قاوم الرياح العاتية، والاستبداد والسقوط، إنه التعبير عن قضايا الوطن الذى ينم عن الحب والانتماء الذى يضرب بجدوره فى أعماق هذه الأرض، ويستطيل فوقها شموخاً بالماضى التليد، وازدهارا بالحاضر المجيد، حيث تنفجر من كيان الشاعر الكلمات لتصنع أنشوده جميلة تجسد أجمل معانى الحب والانتماء.

المحورالثالث : (تصوير الواقع العربى)

إن بُعد الانتماء لهذه الأمة العربية، والرؤيا الثاقبة فى قراءة واقعها تتجلى لدى الشاعر عرار فى كثير من قصائده بحكم انتمائه العميق لهذه الروح العربية، وماضى هذه الأمة العريق.

ومن خلال قراءته للواقع العربى أبرز صورة سلبية تتغذى فى مضمونها على بعض من جوانب الحياة العربية، ومجالاتها السياسية والاجتماعية، فقد صور حالة التخاذل التى تطغى على الواقع العربى، وراح فى غير قصيدة يهاجم القيادات والأنظمة العربية، باعتبارها عاجزة عن ممارسة مسئولياتها تجاه قضايا الأمة، ففاضت قريحة الشاعر مستغيثا مما يحدث من تشرد الجموع ومغادرة الناس لبلادهم وكانت الطامة علي الجميع مسلمين ومسيحيين، وذلك بعد تسلط اليهود والتمكين لهم بوعد بلفور، إذ يقول:

يارب إن بلفور أنفذ وعده كم مسلم يبقي وكم نصراني؟
وكيان مسجد قريتي من ذا الذي يُبقي عليه إذا أذيل كياني؟
وكنيسة العذراء أين مكانها؟ سيكون عن بعث اليهود مكاني؟[1]

فقد بدأ الشاعر قصيدته بالنداء فى قوله: (يارب) ليجذب الانتباه لما يقول، والاستفهام الذي تكرر في كل بيت من الأبيات، ليعبر عن اندهاشه ممايحدث في

(1) عشيات وادي اليابس عرار ص٣٥٦ .

غياب القوة العربية الرادعة، الذى جاء ملائما لمقتضى الحال العربية التى تتجلى فى الصمت المخزى، والركود المستفذ، والضعف المذل الذى كنى عنه بقوله: (من ذا الذي يبقي عليه إذا أزيل كياني، سيكون عن بعث اليهود مكاني).

ولهذا حلت فى الأبيات عاطفة دافقة يحس بها القارئ، فتتحرك كوامن شعوره، ولا جدال فى أن "كلام الشاعر هو الصلة الكبرى بيننا وبينه"[١].

فالشاعر يصور بدقة حالة الضعف والخذلان التى يمني بها الحاكم العربى، حيث ألقى تاجه الذى هو كرامته، وانتابه الخوف والقلق بسبب حالة اليأس التى استبدت بالأمة العربية.

وقد خاطب الحكام العربى بعدم الاطمئنان للمستعمرواصفا له بأنه حية رقطاء تفح بالسم، إذ يقول:

هيه يارمز الاماني والمني إنهم حيات رقطاء تفح
لا يغرنك تقبيلهم يدك اليوم وتقريظ ومدح
فغدا تري موقفهم منك يامولاي إن أبرم صلح
فثري الأردن إن لم يرو من مائه الفياض لن يرويه ميح [٢]

فالألم يعتصر الشاعر مما تعانيه الأمة على أيدى هؤلاء الحكام أشباه الرجال، فجاءت ألفاظه معبرة عن واقع تذبح فيه الأوطان من خلال معاهدات كاذبة، " فأحسن الشعر ما يوضع فيه كلمة موضعها يطابق المعنى الذى أريد له، ويكون شاهدها معها، لا تحتاج إلى تفسير من غير ذاتها"[٣].

وجاءت الكنايات المتعددة فى قوله:(إنهم حيات رقطاء، لايغرنك تقبيلهم يدك اليوم، غدا تري موقفهم) لتدل بقوة وطبع صادق عن الوضع المخزى الذى أراد الشاعر أن

(١) ساعات بين الكتب والناس العقاد ٥١٠/١.مكتبة النهضةالمصرية ط السعادة القاهرة ط ثالثة١٩٥٠م.
(٢) عشيات وادي اليابس عرار ص ٩١-٩٢
(٣) عيار الشعر لابن طباطبا العلوى ص١٢٧.

ننتبه إليه، ناهيك عما تحله هذه الكنايات من الإيحاء المؤثر الذى لا يجادل اثنان فى أهميته للخطاب الشعرى من منطلق كون "الخيال جوهر الشعر لا الإفاضة فى الوصف[١]" فضلاً عما تحلت به هذه المقطوعة بنغم موسيقي حامل بالإثارة، وملائم للغرض الذى قصده، وما نستسقيه منه من تصوير للذل والاستكانة التى يزرح تحتها هؤلاء الحكام الذين تصنعوا بالكذب والخداع لشعوبهم المقهورة من خلال عقد المعاهدات الكاذبة مع المحتل .

ونتيجة لهذه المعاهدات الكاذبة مع المحتل سقطت العديد من المدن العربية مثل(يافا وحيفا)، فيهب الشاعر ثائرا موجها حديثه للجامعة العربية بعدم قبوله للهدنة التي رضيت بها الجامعة العربية بين المجاهدين والعصابات اليهودية إذ يقول:

إنا رزئنا لان الحظ عاكسنا وحالف القوم من قطاع هاجانا
قد أعطي الناس ماشاءوا ومارغبوا أما الرزايا فقد كانت عطايانا
من كان يحسب أن العرب يخدعهم من كنت تحسبهم للعرب أخدانا
إن الوعود التي منوا وما صدقوا بها علينا لعمري كن بهتانا
فحسبنا من وعود القوم مادغلوا علي الأعاريب أشكالا وألوانا
أطلال يافا وحيفا أمسِ برقَهما قد رف وهنًا فأشجانا وأبكانا[٢]

ويمضى الشاعر فى وصف مظاهر الاستسلام والخنوع التى تعكس مدى الضعف والتخاذل العربى، فيندب حال الوطن وماآ ل إليه الانتداب إذ يقول:

سيمت بلادي ضروب الخسف وانتهكت حظائري واستباح الذئب قطعاني
وراض قومي علي الإذعان رائضهم علي احتمال الأذي من كل إنسان
فاستمرأوا الضيم واستخذي سراتهم فهاكم ياأخي عبدان عبدان[٣]

فقد نجح الشاعر فى توظيف الحوار النفسي توظيفا جماليا، حيث استعان به فى الإفصاح عن فكرته السامية التى طرقها بأسلوب يبعث على الإثارة، فنجد البراعة فى

(١) الشعر غاياته ووسائطه عبدالقادر المازنى/٣، ٤.
(٢) عشيات وادي اليابس عرار ص ٣٤٩.
(٣) عشيات وادي اليابس عرار ص ٣٧٠.

اختيار الألفاظ المعبرة عن المقصود، فقوله: سيمت بلادي ضروب الخسف، وانتهكت حظائري، واستباح الذئب قطعاني " كناية عن الضعف البادى على هؤلاء الحكام في ظل واقع عربي متصدع، وقوله: "راض قومي علي الإذعان رائضهم، وعلي احتمال الاذي من كل إنسان " معقود الصلة بما انتاب نفس الشاعر من أسى بالغ، وهو يرى ضعف الوطن العربى من خلال هؤلاء الحكام الذين استمرأوا الضيم فأصبحوا كالعبيد.

واستخدام الشاعر للأفعال الماضية هنا بكثرة فى قوله: "سيمت، انتهكت، استباح، راض، استمرأوا، استخذي" ليبين فعل الدهر فيهم من رفعة وذلة، ومصطرع يكشف عن الواقع نبلاً وخسة، وزيفاً وأصالة.وفي كل نبرة من نبرات الشاعر استنهاض للهمم، للحيلولة دون الخنوع للمستعمر والثورة عليه، وعدم نسيان ماضاع من الأرض.

ويتجاوز الشاعر عرار الحكام والقيادات العربية للحديث إلي شعوبهم، وكأنه يرى أن الفساد الذى تتصف به هذه الفئة الحاكمة إنما هو امتداد لفساد شعوب الأمة العربية، ودعوتهم إلي التوحد، ونبذ اسباب الفرقة فيما بينهم، إذ يقول:

إني أري سـبب الفناء وإنما سـبب الفناء قطيعة الأرحام
وتداركـوا بأبي وأمـي أنتـم أرحـامكم برواجـح الأحلام[1]

ويحرص الشاعر عرار على تأكيد الصورة للواقع العربى من خلال تناوله للواقع المتصدع الذى ألف الذل ورضى بالهوان، متعجباً من حالة الاستسلام والخنوع التى تعيشها الشعوب التي لم تناهض المستعمر، ولم تحافظ علي الأرض إذ يقول :

كم صحت فيكم وكم زعقت من ألم فما أفاقوا ولا أصغوا لألحاني
فلا التسابيح في المنفي بخلت بها ولا الأناشيد في غور ابن عدوان
ولا الزمان الذي أفنيته وأنا أقارع الخصم في الميدان وحدان [2]

فالشاعر فى أبياته هذه يعكس صورة الواقع العربى المتهاوى الذى يألف الذل ويرضى الهوان، مع أنه لم يمل من النصح لهم حتي وهو في منفاه، ثم يدعو الشاعر

(1) نفسه : ص ٣١٤.
(2) نفسه: ص ٣٨١.

أبناء الأمة وحكامها إلى التوحد بعد أن أصبحوا شيعا متفرقين، ويحذر من المنافقين سماسرة الأوطان، ويري أن تراب الوطن لن يفتديه إلا أبناؤه

ثم يبكي بحرقة ماحل بالوطن حتي جفت مآقيه، إذ يقول :

قد أنضبت أدمعي من أعيني نوب تبكي وتضحك قد حلت بأوطاني [1]

إن الشاعر عرار الذى احترف الشعر والنضال العربى بعيد المدى لا ينسى معاناه الشعب الفلسطيني وسقوط مدينة يافا في أيدي اليهود فيأسي لهذا الحدث، ويهب مزاوجا الهم بين يافا وحسبان، إذا يقول بأسلوب يفيض ألما وحسرة:

يافا عروس فلسطين التي غبرت مافي يدى خلا شجوي وأشجاني
يا أهل يافا لقد بالأمس أرقني برق تألق في أجواء حسبان[2]

هذه التجربة الحية التى عايشها الشاعر بنفسه، وكانت جزءاً من صناعة الحدث، عبر فيها عن معاناة يافا وأهلها علي أيدي اليهود .

كما أبدت الألفاظ عن شعور نفسى مثقل بالهم العربى ومعاناه إخوانه فى فلسطين فى قوله: "غبرت، شجوي و أشجاني، أرقني " كلها ألفاظ توحى ببشاعة الحدث .

وفى ظل هذه المعاناة يجمع الشاعر بين فلسطين والأردن ويدعو إلي طلب المساعدة من كل ذي رأي حصيف صاحب قوة ومنعة وبخاصة أولي الأمر في الديار المقدسة إذ يقول :

ليلاي قيسك قد شالت نعامته إلي فلسطين من غور ابن عدوان
شدوا الرحال إلي ابن السعود ففي رحابه مجد غسان وعدنان[3]

فهذه دعوة للشعب المستكين أن ينفروا لمقارعة العدو، ففي ذلك عزهم .

---

(1) السابق : ص ٣٧٣.
(2) عشيات وادي اليابس : ص ٣٧٥. حسبان :الحسبان جمع الحساب، والعذاب ،والبلاء والشر والعجاج .القاموس المحيط ص:٩٥ .
(3) عشيات وادي اليابس : ص ٣٧٤.

لقد حمل عرار بين ضلوعه قلباً صادقاً، وفى عقله فكراً راسخاً يتحدى ما تواجهه الأمة من صعاب بروح وثابة وأمل مضئ، منحازاً إلى ما يحاصرها من هموم، ورافضا كل ما يحول بين الإنسان وحريته ووطنه وكرامته، فكان شعره منتميا لأمته، يستند فيه إلى الوعى بإمكانيات الأمة المهدرة، وإلى البسطاء من أبنائها الذين يحلمون بفجر جديد بعد ليل حالك، مما جعل الشاعر يعيش إحساساً عميقاً فى نفسه.

فالأمة العربية متعطشة إلى عزها التاريخى للتخلص من الوضع الراهن الذى يكبلها بقيود القهر والتخلف، وتسعى من أجل حياة كريمة تقوم على مبادئ ثابتة، والاحتماء بعقيدة راسخة فى إطار وحدتها.

أحب عرار العروبة، فتناول فى شعره قضايا الوطن العربى، فكأنه شاعر الوطن الذى حين أدمته خناجر القهر والهزيمة وجد فى حنجرته أول صوت يصرخ، وأول الناهضين من تحت الركام، فكان واحداً من الشعراء الكبار الذين هزوا بأشعارهم وجدان الأمة العربية.

المبحث الثالث

السمات الفنية لشعر الوطن عند عرار

أولا: (البناء اللغوي والأسلوبي)

أ: البناء اللغوى:

تعد اللغة المعين الذى لا ينضب مهما أخذ منه، فهى الملكة الفكرية التى نجسدها فى الواقع عن طريق الكلام لغرض التواصل الإنسانى بين المجتمعات، لأنها تحمل أفكاراً وأحاسيس وتطلعات لهذا الإنسان، بل إنها تمثل مرآة عاكسة لشخصيته سواء أكانت لغة نثرية أم شعرية، فهى التى تحدد شخصية الشاعر، وتعبر عن حقيقة مشاعره وصدق أحاسيسه، فيمكن اتخاذها ركيزة أساسية فى "العملية الإبداعية، أجراساً وظلالاً، وصوراً، وإيقاعات"[١]. فهى ضرورية "فى كل عمل فنى يستخدم الكلمة أداة للتعبير"[٢].

فاللغة أشبه بالمفتاح الذى نلج به فى عوالم الشعر التى تموج بالأفكار الساحرة لأن روحها الإيحاء "فعلاقة تجربة الشاعر بلغته أوثق من علاقة تجربة القاص أو المسرحى، وذلك لأن الشاعر يعتمد على ما فى قوة التعبير من إيحاء بالمعانى فى لغته التصويرية الخاصة به"[٣]، فيتفرد الشاعر عن غيره بلغته، فتعد امتداداً لتجربته الخاصة " فاللغة الشعرية تستمد إشعاعاتها وإيحاءاتها من تجربة الشاعر وأصالته، التى تقوم أساساً على ذوقه الرفيع، وإحساسه العميق ووعيه للكلمات وأبعادها، وتلك ميزة ذات أهمية بالغة، لأنها روح الأصالة وانعكاس مباشر لها، تنطبع فى عمل الشاعر، وتتجسد فى أسلوبه الفنى، فيكون بذلك نموذجاً فرداً ذا طابع متميز "[٤].

ولغة الشاعر اليوم تختلف عن لغته سابقاً "فما زالت عربيتنا الأدبية أو الكتابية بعامة هى العربية الفصحى، وإنما تختلف من حيث علاقتها لظروفنا المعايشة الراهنة،

---

(١) الشعر العربى المعاصر قضاياه وظواهره الفنية، د. عز الدين إسماعيل، ص٧٣.
(٢) نفسه ص١٧٤.
(٣) النقد الأدبى الحديث، د. محمد غنيمى هلال ص٤١٥.
(٤) البعد الفنى والفكرى عند الشاعر مصطفى الغمارى يحياوى الظاهر ص ٥١.

بأفكارنا وتصوراتنا، وأرائنا بمشكلاتنا وقضايانا، وبكل ما يمثل الجوانب الروحية والمادية فى حياتنا، كل هذا من شأنه أن يشكل اللغة تشكيلاً جديداً يتناسب وواقع الحياة"[1].

فاللغة عند الشاعر لم تكن غاية بقدر ما كانت وسيلة يترجم بها عن سخطه وغضبه وثورته على الظلم والفساد، ويعبر بها عن حبه وائتمانه لوطنه الأردن، وكل بلاد العروبة والإسلام، لغة أخذها من معاناة الشعوب العربية، واستقاها من قلب المأساة، فكانت متميزة ذات إيحاءات وظلال خاصة يمنحها لرموزه اللفظية مصدرها هذه التجربة الشعورية الزاخرة، وهذه الذبذبات النفسية التى تغمر جوارح نفسه وقد تطفح على سطح حياته.

والناظر إلى لغة الشاعر عرار من خلال شعره يلاحظ مدى تطويع الشاعر لمفرداتها لتكون وعاء المحمول الدلالى، ولتعبر عن أفكاره الثائرة التى تعبق بروحه الوطنية المتوثبة، ونزعته القومية الإنسانية، كما يلاحظ كم المفردات فى مخزون الشاعر اللغوى الذى يمثل معجماً خاصا به، حيث نرى مفردات الشاعر المحملة بالقيم والدلالات التى تتماهى مع الواقع العربى وما يعج به من أحداث كانت مجالاً لحديث الشاعر، حيث يمكننا تقسيم أهم السمات اللغوية فى شعره إلى:

١- المعجم الشعرى:

عندما نمعن النظر فى شعر عرار نجده قد أبرز فى قصائده الوجه الحقيقى للواقع الأردني والعربى، فاستخدم فى قاموسه الشعرى اللغة الوجدانية التى تقطر ألماً وأحلاماً، فتضافرت حياته الشخصية بالحياة المأساوية للشعب الأردني، فلم يتعامل مع الكلمات والألفاظ تعاملاً معجمياً صرفاً، بل انزاح بها إلى الواقع فأطعمها من وجدانه، وسقاها من روحه المتوثبة، وألبسها وشاحاً من وطنيته الجريحة.

(١) الشعر العربى المعاصر قضاياه وظواهرة الفنية د. عز الدين إسماعيل ص ١٧٥.

إن معجمه الشعرى يحدد أزمة الشاعر ولعله يشكل سبباً رئيساً لشعوره بالوحدة، وربما يعود ذلك إلى مرحلة الشباب ومعاناته بمعاناه وطنه، فظلت راسية بأعماقه، تطفو على السطح أحياناً، وتختفى تارة أخرى، إذ يقول واصفا معاناته في حياته:

وحياتي لاتسل عن كنهها
إنها حان وألحان وصدح
وأمانـــي شبـــاب فاتهـــا
مثلما فات الأردن نجح"[1].

فحياته المتقلبة الأسوانة التي فاتها النجاح مثلما فات هذا النجاح وطنه الأردن، عبر عنها من خلا ل مفرداته اللغوية الشعبية (حان، وألحان، وصدح، وأماني، وشباب).

وبلغة أقوي يصور هذه الحياة عبر مفرداتها المعبرة أصدق تعبير (إرهاق، تشديد، سجن، منفي، تعذيب، تبعيد) إذ يقول :

حياتي مثلما أنبوك إرهاق وتشديد
وسجن وبعد منفي وتعذيب وتبعيد[2]

فالشاعر عبر عن غربته النفسية والمكانية داخل وطنه عبر المفردات التى عجت بها الأبيات مما يوحي بالجو النفسي الرهيب الذي يعيش فيه بفعل الظلم والاستعمار، واختفاء العدالة الاجتماعية

وعن هذه الحياة القاسية يأتي بتعبير يناسب قسوتها القائمة علي التقليل من شأنه وشأن قومه، إذ يقول :

قومي وقومك في الصغار وجهلهم
معني الحمية كفتا ميزان
وأنا أنت علي اختلاف قبيلنا
في عرف بيك وجيشه سيان "[3].

([1]) عشيات وادي اليابس مصطفي وهبي التل ص ١٧٧.
([2]) عشيات وادي اليابس مصطفي وهبي التل ص ٢٢٠
([3]) نفسه: ص ٣١٨.

وبلغة هادرة تقترب كثيرا من كلام الناس الذين هو منهم حيث عاش آلامهم وآمالهم، وآسي لأحزانهم، التي تدمي قلبه، فيحكي آلام الفلاحين والفقراء من جشع التجار والمرابين إذ يقول :

صب الهوي وشجاك أن نسيمه
في ضفة الأردن ريح سموم
وأنا وأنت أذل من وتد ومن
عير بإسطبل الهوان مقيم
والشعب أصبح عندهم من سائل
قذر يمد ذراعه للئيم "[1].

فقوله :(وتد، أسطبل، سائل، قذر) كلها مفردات تعبر عن لغة محلية إلا أنها حافلة بالحياة، وتفتح عيونهم علي عيوب المجتمع، قد نمر بها دون أن نحس بها، لكنها في هذا الشعر دفقات قوية تنبه العقل والنفس والأعصاب . "[2].

ولعل السر في قوة تأثير شعر عرار في النفوس أنه شعر يعبر عن تجربة إنسانية ومحلية معا، من خلال استعمال ألفاظ شعبية نابضة بالحياة وليست الألفاظ إلا مظهرا من مظاهرها، وتجليا من تجلياتها الغزيرة، ومن ذلك قوله:

أيا باشا كفي عبثا فأيدي الدهر جبارة
إذا لطشتك داهية من الإملاق غدارة
تعود بغير ذي أود تقيس شوارع الحارة "[3].

فالألفاظ هنا فصيحة ولكن العامية المحكية تستوطن النص الشعري كله روحا وأسلوبا، مما يوحي بمدي قدرة الشاعر علي نقل الروح الواقعية التي يريد رسم ملامحها.

كما يكشف معجمه الشعري عن ضروب متنوعة من الروح الشعبية واللغة المحكية التى لاتقف عند اللفظة وحدها، بل تتعدي إلي التراكيب إذ يقول :

([1]) عشيات وادي اليابس مصطفي وهبي التل ص ٣٣٩.
([2])اللغة والأسلوب في شعرعرار محمود السمرة مجلة مجمع اللغة العربية الأردني عدد ٥٨.
([3]) عرار شاعر الأردن يعقوب العودات ص ٨٣١ عمان ط ١٩٨٥ م .

وللإفلاس وسواس
برأسي أصطلي ناره
يقيم قيامتي طورا
أحرق ديكه تارة

فقوله: (يقيم قيامتي وأحرق ديكه) تركيبان فصيحان صحيحا الكلمات، لكنهما مضمخان بالتعبير الحكائي وهما أقرب إلي مقولات العامة .

واتجه الشاعر إلى الألفاظ السهلة الشائعة بين العامة مع عدم إهدار صحة اللغة واستقامتها، كشرط أساسى للإبداع الشعرى مبتعداً عن الكلمات المعجمية أو الوعرة فى قوله: "أرض بَر، بيت شَعر، الخلاء، شاهقات حصن، حوران، قبري، أشم، أريجها "ولعل القصد من التخلى عن استخدام هذا النوع من الكلمات هو التعبير عن المألوف بكلمات مألوفة مستقاة من واقع الحياة المعيشة، وهذا يعنى تناول اللغة الكائنة تناولاً جديدا يرغمها على التفاعل مع المعنى الذى يعبر عن رؤي الشاعر وتجربته الملهمة بالوطن إذ يقول :

فما مثل الحياة بأرض بـر بها أهل المروءة والوفاء
وإن أسكن أخي ببيت شَعر بعرض الفقر في وسط الخلاء
ومن حولي أناس ذوو قلوب صفت واد إلـي بلا مـــراء
لخير من قصور شاهقات كحصن قد أحيطت بالبناء
بحوران اجعلوا قبري لعلي أشـم أريجها بعد الفناء[1]

فالمعجم الشعري في هذه الأبيات يحدد أن منية الشاعر لايمكن فهمها إلا في إطار ارتباط الشاعر بوطنه الأردن وارتباطه بأرضه، وليس ببعده عنها إلا رجعا تتردد فيه أصداء حبه لهذه الأرض وحب متأصل يعاود الحديث إليه حتي في أصعب اللحظات، وهو حديثه عن أرض حوران .

أما الكلمات الرنانة التى يراد منها إثارة الاصطدام العاطفى والحنين التقليدى، وذلك رغبة فى الاستعراض والتباهى فقد حاول أن يتجنبه، فاللغة سهلة مؤثرة فى كل

(1) عشيات وادي اليابس ص٥٣١ .

المستويات، وقد أتاح التعبير عن التجربة ببساطة وعفوية وجوداً مميزا للمفردات الدارجة أو الواقعية على أساس ينطلق من أن لغة الناس يجب أن تكون لغة الشاعر، وبذلك جاءت ألفاظه (سيمت، ضروب، الخسف، انتهكت، حظائري، استباح، الذئب، قطعاني، الإذعان، الأذي، استمرأوا، الضيم، استخذي، سراتهم، عبدان)على قدر كبير من الوضوح والسهولة مع الاحتفاظ بصفات اللفظة الشعرية، والمحافظة على سلامة اللفظ [١].مصورا حال الوطن تحت الانتداب البريطاني فجاءت ألفاظه معبرة تحد واستنهاض للهمم للحيلولة دون الخضوع للمستعمر، والتحريض للثورة عليه، دون نسيان ماضاع من الأرض إذ يقول:

سيمت بلادي ضروب الخسف وانتهكت حظائري واستباح الذئب قطعاني
وراض قومي علي الإذعان رائضهم علي احتمال الأذي من كل إنسان
فاستمرأوا الضيم واستخذي سراتهم فهـاكم يا أخـي عبـدان عبـدان[٢]

وتبدو مفردات البيئة الأردنية أكثر مفردات المكان حضوراً فى شعره، ويعود ذلك إلى أنه شاعر واقعى ينطلق فى نسج صوره الشعرية من البيئة التى عشقها وأحبها كل الحب، كما ينطلق من موروث شعبي الذى ورثة عن أجداده، ومفردات البيئة الأردنية التى عنى بها الشاعر تتصل اتصالا وثيقاً بطريقة حياة الإنسان الأردني، ومن ذلك قوله:

رويدك إنه الغور
به دوم وزعرور
وخرفيش ومرار
وعين تخسا الحور
دع القطمون واللطرون
فالدنيا طبربور [٣]

(١) نظرية الشعر عند الشعراء فى الأدب العربى الحديث د. منيف موسى ص ٢٤٥.
(٢) عشيات وادي اليابس ص٣٤٩.
(٣) عشيات وادي اليابس ص٢٦٥.

فتجربة الشاعر هى التى اختارت ما يناسبها من الألفاظ: " الغور، دوم، زعرور، خرفيش، مرار، عين، القطمون، اللطرون " فالشاعر ارتبط بالبيئة الأردنية عبر مظاهرها الطبيعية الخلابة، فامتاز توظيفه لها قريبا من الحياة اليومية للناس، مما أدي إلي سرعة التعلق بشعره وزيادة المحبة بينه وبين العامة من الناس حيث ذكر شجر الدوم الذي يوجد بكثرة في منطقة الأغوار الأردنية وكذلك شجر الزعرور والخرفيش والمرار، وجميعها مما يشاهده الناس أمام عتبات البيوت بتلك المنطقة ليصل إلي مايريده من التذكير باللطرون والقمطرون، وغيرهما من الأراضي العربية المحتلة .

فالعاطفة الوطنية لدى الشاعر تفجر التعبير تفجيراً عفوياً، وكأن الشاعر انساقت الكلمات منه انسياقاً فطرياً لا صناعة فيه ولا تكلف.

ويبرز فى المعجم الشعرى ألفاظ الشكوى والكآبة والأنين، وذلك عندما تبلغ مشاعر الشاعر وأحاسيسه ذروتها فى شكواه وأنينه، فنحس من شعره أن الشاعر يمر بمرحلة ضياع وشتات يبحث فيها عن شط ترسو عليه سفينته بعد طول معاناة، ووعورة إبحار فى القلق، وعدم الاستقرار، ليتلاقى إحساس التذمر بالتعبير الفاجع، إذ كل لفظ أو تركيب يرسم حالة من حالات المأساة التى ترهق الشاعر، فيعبر عن المرارة التي تعصف به، ويبدي معاني الشكوى والأنين، بسبب شعبه الذي لم يكن علي قدر من المسئولية بحجم المخاطر التي تتهدده، مما جعل الشاعر فى أشد حالات الشكوي والأنين النفسي المرهق إذ يقول :

كم صحت فيكم وكم زعقت من ألم فما أفاقوا ولا أصغوا لألحاني
فلا التسابيح في المنفي بخلت بها ولا الأناشيد في غور ابن عدوان
ولا الزمان الـذي أفنيته وأنـا أقـارع الخـصم فـي الميدان وحدان[1]

فمعاناة الشاعر، وتمرده على الواقع المظلم المهين، ورغبته فى حث شعبه علي الثورة والتغيير جعلته يعبر عنها من خلال الألفاظ: (صحت، زعقت، ألم، ما أفاقوا، ولا أصغو، المنفي، بخلت، الأناشيد، غور، الزمان، أفنيته، أقارع، الخصم، الميدان) فمعجم

(1) عشيات وادي اليابس ص٣٨١.

الشاعر بسيط وموح، لأن ألفاظه متداولة تحكي حجم الخطر الذي سيقضي علي آمال الشعب، وتعبر عن وطنيته المقهورة، كما أن حروف المد المبثوثة فى هذه الأبيات الشعرية، تحمل معنى الصراخ والرفض، وتكرار (كم) في البيت الأول يعبر عن كثرة مناشدته لهم بالحفاظ علي أوطانهم والوقوف صفا واحدا في وجه المستعمر، والتعبير بما ولا النافيتين ليدلل علي عدم اكتراثهم بما يحيط بهم من مخاطر وأهوال، وجاءت كلمة (وحدان) لتعبر عن قمة المعاناة التي وصل إليها الشاعر بسبب وقوفه وحده في ميدان الوطنية مدافعا ومنافحا عن وطنه منفردا ومقارعا للخصم، وما أصعبها من مهمة ؟

وهكذا فقد جاء معجمه الشعرى متنوعا فى أبعاده وألفاظه، فى لغة بسيطة فى تركيبها، عميقة فى معناها المتوخى من الواقع المعاش، الذى عاشه الشاعر منفردا تارة وبمعية الجماعة تارة أخري، واستطاع أن يتصور الموقف وأن يتجاوب نفسياً مع الحدث، فأعمل خياله إلى حد بعيد، متخذاً من اللغة أداة للتعبير عن حبه لوطنه وارتباطه بأرضه، فتمكن بموهبته الشعرية من إبراز آمال وآلام شعبه وشعوب الأمة العربية، فكانت قصائده صورة حقيقية لواقع الوطن المهيض .

٣- تدعيم اللغة الشعرية بالقيم الإسلامية:

تفاعلت لغة الشاعر عرار مع القيم الإسلامية وربط بينهما برباط وثيق لتكون ذا أثر فى ذهن المتلقى، وذلك عند حديثه عن قضايا العروبة فى الإسلام، ومن هذه القيم التى كان لها حضورها القوى فى شعر عرار بث روح الوحدة فى نفوس العرب المتخاذلين، وحلمه أن يعودوا إلى رشدهم ويتحقق للوطن شموخه، إذ يقول:

إني أري سبب الفناء وإنما سبب الفناء قطيعة الأرحام
فدعوا مقال القائلين جهالة هذا عراقي وهذا شآمي
وتداركو بأبي وامي أنتم أرحامكم برواجح الأحلامي
فبلادكم بلادي وبعض مصابكم همي وبعض همومكم آلامي[1]

(1) عشيات وادي اليابس ص٣١٤.

ويجعل الشاعر من قيمة التحدى طريقاً للتحرير ونيل الشهادة والأمل فى غد مشرق، تتجمع فيه القوي فيشرق الحق بطلعته المضيئة مهما استطال الظلام علي أهليه، فيقوي الضعيف، وتتنمر النعاج، وتستأسد الشياه، فالجراح لم تبرأ بعد، ويحذر المستعمر من وثبة النزع الأخير فإنها لا تعادلها قوة، والضغط المتواصل يولد الانفجار، والوضع المرهق ينكأ الجراح، إذ يقول مخاطبا الإنجليز في شخص مندوبهم (كوكس) :

لا تحسب الجرح فيمن لايضج أسي ... ياكوكس مندملا فالضيم نكاء
والحق لابد من إشراق طلعته ... مهما استطالت علي أهليه ظلماء
وقوة الضعف إن جاشت مراجلها ... تنمرت نعجة واستأسدت شاء
يامن يظن جراح القوم قد برئت ... إن عادهم من نزيف الكلم إغماء
فوثبة النزع لا يعدل بقوتها ... والضغط يفجر والإرهاق نكاء[1]

أما عن الشهادة وشرف نيلها، فقد تحدث الشاعر عنها مرحبا بأعواد المشانق في سبيل الحرية والوطن، في معرض الحديث عن الفحر بقومه الذين وفوا للوطن بأنفسهم، لترسيخ قيمة الاستشهاد فى نفوس الشباب، متكئاً على لغة حماسية، سهلة واضحة، معبرة بقوة عن صدق التجربة الشعورية لديه، من خلال ألفاظه الموحية بالوفاء والمودة، إذ يقول:

نحن الألي قد وفينا في مودتنا ... يوم الرفاق تنادوا يالقحطان
وعلقوهم علي الأعواد ماعلموا ... أن العزائم لاتثني بعيدان[2]

فارتباط لغة الشاعر بالقيم الإسلامية دليل على تقيده بقيم الإسلام وتعاليم الدين الحنيف، وبعده عن كل الأفكار المخالفة لهذا الدين، حيث يرى أن تحرير بلاد العروبة وبخاصة الأردن وفلسطين وقدسها الشريف، يرتبط ارتباطاً وثيقاً بتطبيق الدين الإسلامى وتعاليمه الخالدة.

٣- توظيف الرمز:

(1) عشيات وادي اليابس ص١٠٢.
(2) نفسه: ص٣٨٢.

إن استخدام الشاعر للرمز ينسجم مع طبيعة اللغة الفنية التى تعتمد على الإيماء والتلميح بدلاً من المباشرة والتصريح، فالرمز الشعرى كما عرفه د. إحسان عباس: هو الدلالة على ما وراء المعنى الظاهرى مع اعتبار المعنى الظاهر مقصوداً أيضاً[١].

ويعد الرمز من أبرز الوسائل الفنية التى يلجأ الشاعر إليها "للتعبير عن شئ لا يوجد له أى معادل لفظى"[٢].

ويمكن وصف الرمز بأنه اللغة الثانية للنص المتروكة للقارئ لينقب عنها فى ثنايا النص نفسه، مستعيناً بما فى النص من تلميحات أو إشارات مما وضعه الشاعر فى ثنايا قصيدته ذات دلالة تعين على فهم المعنى، ودور القارئ هنا البحث عن شفرة النص لفك رموز اللغة الغامضة حتى تصبح دلالتها حرة طليقة، "فالرمز هو البرق الذى يتيح للوعى أن يستشفف عالماً لا حدود له، لذلك هو إضاءة للوجود المعتم، واندفاع نحو الجوهر[٣].

والرموز فى مجملها وبما توصله من دلالات عميقة تمهد لقيام علاقة وثيقة بين اللغة والجو النفسى، أى العاطفة المسيطرة على الشاعر عند الكتابة وعاطفة المتلقى عند تعاطيه للنص، لذلك لا يمكن "إغفال طبيعة الرمز ذاته والعلاقة التى يقيمها بين اللغة والعاطفة"[٤].

وهكذا فقد ذهب الشاعر عرار فى كثير من ألفاظه إلى ما هو أبعد من الدلالة المعجمية، إذ راح يرقى بها إلى آفاق رحبة من خلال الاتكاء على الرمز وتوظيفه فى قصائده مثل:استلهام الرمز من الطبيعة، **حيث تعد** البيئة الطبيعية المصدر الرئيسى الذى يستمد منه الشاعر عرار بعضاً من رموزه الشعرية، من نبات أودية، وحيوانات، وحشرات، فى إيصال وتكثيف الدلالات التى يريدها، حيث جعل من الوردة رمزا للحب

(١) فن الشعر د. إحسان عباس ص٢٣٨.
(٢) الصورة الأدبية د. مصطفى ناصف ص١٥٣.
(٣) انظرزمن الشعر أدونيس ص١٦٠.
(٤) انظرأساليب الشعرية المعاصرة د. صلاح فضل ص١١٤.دار قباء للطباعة القاهرةسنة ١٩٩٨م.

والنضارة، والارتباط بوطنه الأردن، ولايري في الورد ولونه الأحمر وشذاه العبق غير بعض شذا الأردن ورباها إذ يقول :

خداك يابنت من دحنون ديرتنا روحي فداء الخديد الأحمر القاني[١]

فالدحنون الأحمر رمز لجمال الأردن، وشذاه هو بعض من شذا الأردن ورباها.

ويتخذ من الغزالة رمزا للحرية والانطلاق، والخصوبة واستمرار الحياة، ورفض الذلة والانكسار، والارتباط بالمكان عبر حروف المد المتعددة التى ترفض بشدة القهر والمذلة، إذ يقول:

أناشدكم وادي الشتا وظباءه وغزلان وادي السير والأعين الدعجا
وقلبا شجيا كلما خطرت له خواطر من ليلي بأشواقه عجا [٢]

فهو يرمز بالغزالة إلي الحسناوات اللاتي هن رمز لوطنه الجميل منبع الحسن والجمال .

ومن رموز الوطن التى يستلهمها عرار من الطبيعة والبيئة العربية الزيتون، ، ليدلل من خلالهما على قيمة المكان، والارتباط به مهما حدث، ومهما كان به من الأخطار كأن استأسدت به الذئاب :

بأدغالك يازيتو ن برما استأسد الذئب[٣]

وهنا يرمز أيضا إلي اللئيم الضعيف الذي استأسد بالمكان في غيبة القوة المدافعة عن الوطن .

ويرمز بالكلاب، إلى أعداء الوطن الذين يضرب بهم المثل فى الخسة ويشبههم بالكلاب الضالة، ويطلب منهم التجمل بالصبر علي سوء الأدب.

إن الذين وصفتهم لم ينههم عما آتوا شرف يعز ودين
هم كالكلاب فإن سمعت نباحهم فتذرعي بالصبر يابرفين[٤]

---

(١) عشيات وادي اليابس ص ٣٧١.
(٢) نفسه: ص١٥١.
(٣) عشيات وادي اليابس ص١١١.
(٤)عشيات وادي اليابس : ص١٥١.

ولعل اختيار الشاعر لمثل هذه الرموز يأتى للكشف عن الممارسات السلبية التى يقوم بها أعداء الوطن من المرابين والمنافقين والمتخاذلين والعملاء، تجاه الشعوب العربية، ويعكس الوجه البشع لهم، فيرمز لهم بالأفاعي وهي رمز للطامعين المستغلين لخيرات البلاد وعرق العباد، ويتمني لو أن له بيت من الشّعر تسرح حوله غنم السرحان، وأن لا وجه الأعداء الذين يبثون عيونهم التي تنفث سمها بين الشعوب العربية، إذ يقول:

كل ما أرجوه لو أن منَي عاثر الجد إذا يرجوا تصح
أن أري لي بيت شَعر حولهـ ـن شلايا قومك السرحان سرح
في فلاة ليس للعلج بها حية تسعي وثعبان يفح[1]

كان من الطبيعى أن يلجأ الشاعر إلى استخدام الرمز كقناع للمحتل الغاشم

المستغل هو وأعوانه لخيرات البلاد، حيث رمز لهم بالحيات التي تسعي بالفساد، والثعابين التي تفح وتبث سمها في كل مكان .

وهكذا جاء توظيف الرمز ليستوعب هموم الشاعر وآلامه بقدرته على التعبير علي نقل تجربته الشعورية، بطريقة مثيرة تهيئ لها مكانة فى نفوس السامعين، فيتفاعلون معها، وتتعمق دلالة الرمز فى مشاعرهم وأحاسيسهم.

٤- التكرار:

يعد أسلوب التكرار أحد أبرز الظواهر اللغوية البارزة التى يلجأ إليها الشعراء لإثراء المعنى الشعرى "حيث يحتوى على كل ما يتضمنه أى أسلوب آخر من إمكانات تعبيرية، إنه فى الشعر مثله فى لغة الكلام، يستطيع أن يغنى المعنى، ويرفعه إلى مرتبة الأصالة ذلك إن استطاع الشاعر أن يسيطر عليه سيطرة كاملة، ويستخدمه فى موضعه"[2].

([1]) نفسه: ص١٦٠. العلج : من كفار العرب العجم . لسان العرب ج٢ ص٨٥٨. يفح : فح الثعبان: تنفس قبل أن ينفث سمه . لسان العرب ج٢ ص ١٠٥٦

([2]) قضايا الشعر المعاصر نازك الملائكة ص٢٦١.

وهو ظاهرة من ظواهر الشعر الحديثة التى بدأت بالانتشار فى مطلع القرن العشرين، وإن كانت جذوره التاريخية تمتد إلى التراث الشعرى العربى القديم "فقد عرفه العرب قديماً، وكان ابن قتيبة من أوائل من تعرضوا له حين تناول أسباب التكرار فى بعض صور القرآن"[١]، وقد أورد ابن رشيق فى كتابة العمدة تحت هذا الباب قوله: "وللتكرار مواضع يحسن فيها، ومواضع يقبح فيها، فأكثر ما يقع التكرار فى الألفاظ دون المعانى، وهو فى المعانى دون الألفاظ أقل"[٢]، وأكد ابن سنان الخفاجى "أن التكرار لا يعد عيباً إذا كان المعنى المقصود لا يتم إلا به"[٣].

وهو بذلك لا يخرج فى الشعر العربى الحديث عما ذكره القدماء، ويصبح ذا فائدة معنوية على المستوى اللغوى، إذ إن إعادة ألفاظ معينة فى بناء القصيدة، يوحى بأهمية ما تكتسبه تلك الألفاظ من دلالات، مما يجعل ذلك التكرار فى بعض الأحيان مفتاحاً لفهم القصيدة.

ولعل الناظر فى شعر عرار يجد فيه توظيف بنية التكرار بشكل واضح، ويأخذ حضورها أشكالاً عدة منها: تكرار الحروف، وتكرار الألفاظ كالأفعال والأسماء، وتكرار العبارة، وقد ظهر فى شعره بشكل واضح، وشكل منه إيقاعات موسيقية متنوعة تجعل المتلقى يعيش الحدث الشعرى المكرر، وتنقله إلى أجواء الشاعر النفسية.

ها هو ذا يتخذ من تكرار (الحرف) وسيلة لإبراز مشاعره الحزينة تجاه القدس وما يحدث لها على أيدى الصهاينة، وطريقاً للخلاص من هذا الواقع المر ولو بعد آلاف السنين، كل ذلك فى خطوات ثابتة يتردد صداها فى بداية كل شطر شعرى، إذ يقول :

رويدا إنه العيد وإن الله موجود
وإني مثلما قالوا أخو نشوات عربيد

---

(١) فى نقد الشعر العربى المعاصر د. رمضان الصباغ ص٢٣٦.دار الوفاء الأسكندرية ط أولي١٩٩٨م.
(٢) العمدة لابن رشيق القيروانى ٧٤/٢.
(٣) سر الفصاحة لابن سنان الخفاجى ص٩٢. تحقيق فودة علي مكتبة الخانجي سنة ١٩٣٢م .

سليمي إن بخلكم علي علاته جود[1]

فقد كرر الشاعر الحرف (إن) فى كل شطر شعرى، مما يدل على إلحاحه على تكرار هذا الحرف بصيغته، وهذا من "إحدى التقنيات التى يتخذها الشاعر آلية دفاعية تستدرج حصره العاطفى وتستوعبه[2]" وذلك لما يتيحه له من إمكانات تعبيرية وصوتية تجذب إليه المتلقى، ويحدث نوعاً من التواصل الفكرى والشعورى لدى الشاعر، حيث يعود من حيث بدأ، حاملاً لمبادئه وقيمه، ومؤكداً على التركيز علي الوحدة، وإثبات ذاته، والتركيز علي أهمية العيد بالنسبة للمشردين، وتتبع مواطن القهر والحرمان في يوم فرحة العيد،

كما أن هذا التكرار الإيقاعى لهذا الحرف (إن) يحدث نغمة موسيقية فى كل بيت، مما يعكس حرص الشاعر على استحضار كل ما فى ذهنه من الصور والمعانى التى تساعده على التوحد مع هذه المناسبة، والأمل فى غد يأتى فيه العيد وهو في بلد مع أهله وذويه، وهو في هذه اللحظة يجعل من بخلهم بالنسبة له جود من أجل ان يعيش فرحة العيد بينهم ،

ومن مظاهر حضور التكرار فى شعر عرار أيضا تكرار(الكلمات) أو الألفاظ التى شغلت حيزاً واسعاً من المتن الشعرى، فقد كان حريصاً أن يجعل من هذه الكلمات المكررة قوة فاعلة لإيقاظ الحس الوطنى والقومى لدى أبناء الأمة العربية، وبعث الهمة والتبصير بالواقع، وكشف زيفه، لذا نراه يسعى إلى استخدام التكرار وسيلة للإعادة والإلحاح والتأكيد على ما فى ذهنه لإصلاح الواقع، ويصر على أداء هذه الرؤية بكلمات تثرى التجربة، وتحدث تفاعلاً بينه وبين المتلقى، فيختار الكلمات التى تستوعب ذكرياته مع أصحابه أيام أن كان الوطن أمنا وأمانا.إذ يقول:

وارحمتا للكوخ كيف تبرمت ضجرا صوي اللذات في عنفوانه
وارحمتا للكوخ إن حضيضه قد ضم إشقاقا ذري بنيانه

---

(1) عشيات وادي اليابس ص ١٨٤.
(2) سيكولوجية الشعر محمد طه عمر ص٦٨.عالم الكتب القاهرة ط أولي٢٠٠٠م .

وارحمتا للكوخ كيف تجهمت من بعد إشراق وجوخ زمانه [1]

فتكرار كلمة (الكوخ) في كل بيت شعري يظهر تبرمه لما حدث للكوخ الذي ضم أعز ذكرياته مع أهله وأصحابه، ثم آل إلي السقوط والانهيار كما سقطت الأوطان العربية علي يد المحتل مماجعله يأسي لهذا الحال، وتكراره كلمة (وارحمتا) لندب مكان اللقاء بالأحبة والعشاق وذكرياتهم، مما يعطى توحداً فى المشاعر والأحاسيس والأحداث، لتشكيل صوت قوى فى أعماق أبناء الأمة لا يستطيع أى فعل آخر أن يقوم مقامه، وهو ندب المكان والارتباط به حتي لو حل عليه السقوط والانهيار، مما يجعل التكرار الصوتى والتوتر الإيقاعى يقوم بمهمة الكشف عن القوة الخفية فى الكلمة المكررة[2].

ويلاحظ أن عرار قد حشد لهذا النص معينات إيقاعية أخرى كالإتيان بعد العبارة المكررة (وارحمتا للكوخ) بفعل ماض مختلف عن الآخر، مثل (كيف تبرمت، كيف تجهمت) ليهيئ المتلقى لما حدث بالفعل، ويضعه معه فى لحظة الزمن الراهن بعد أن أصاب هؤلاء الأصحاب والكوخ التشرد، والتقوقع، والتقهقر.

٥- التضاد:

التضاد:" هوالجمع بين المتضادين، أى معنيين متقابلين فى الجملة"[3] وقد برزت ظاهرة التضاد فى شعر عرار بصورة واضحة، حيث عمد إلى توظيف هذه الظاهرة من أجل إبراز حسن المعانى وتأكيدها بضم نقيضها إليها، "وتعد بنية التضاد، إحدى البنى الأسلوبية التي تغنى النص الشعرى بالتوتر والعمق والإثارة، وتقوم هذه البنية على الجدل

(1) عشيات وادي اليابس ص ٤٠٣. جخ :الجخ : الوخم الشديد، وجخجخ : كتم ما في نفسه، ونادي فلانا، صرعه ، والليل تراكم ظلماته ، القاموس المحيط الفيروزآبادي ص٣١٩ ط ٢ مؤسسة الرسالة سنة ١٩٨٩.

(2) انظر الأفكار والأسلوب أ.ف تشنترين ترجمة د. حياة شرارة ص٥٠.ط آفاق عربية بغداد د.ت.

(3) الإيضاح فى علوم البلاغة الخطيب القزوينى ٣٨٧/١.دار الكتب بيروت ط خامسة.

الذى يعنى وجود حالة تناقض، وصراع وتقابل بين أطراف الصورة الشعرية، وغالباً ما تكون الثنائيات الضدية، هى العنصر الأكثر أهمية فى مكونات النص الشعرى"[١].

وتعمل الأضداد على متابعة النص، وما يتشكل عنها من علاقات، تتحرك فى تواتر متجاذب وكأنها شبكة تتابع خيوطها وتتبادل مواقعها، وتتشابك تطريزاتها على جسد النص[٢]. ويمكن الاستشهاد على هذه الظاهرة فى شعر عرار بقوله :

أو لم تر العرفاء كيف تهودوا أو لم تر المتعلمين تنصروا
والبائعين بلادهم بقلامة قد أقدموا والمخلصين تقهقروا
فالحرّ فينا للعلوج مطية والعفّ منا لليهود يسمسر
بعنا العروبة بالوظيفة وانبرى ليبيع "غور أبي عبيدة "أزعر
لا تعجبنّ لفعلنا فنفوسنا رغم الظواهر بالدناءة تزخر[٣]

لقد بنيت الثنائية الضديّة في هذه الأبيات على ما كانت عليه الأنا الجمعيّة وما أصبحت عليه، هذه الأنا، إذ وظّف عرار هنا صورة الماضي والحاضر – بالتأكيد الذات مع الماضي– ووظّف أيضاً أسلوب الاستفهام الانكاري، بما يحمله هذا الاسلوب من تعبير عن الاندهاش، والإنكار لما يحدث، وهنا ستحاول الدراسة أن ترصد أدوات التّضاد التي وظّفها عرار من أجل التعبير عن الدلالة التضاديّة التي تعيشها الذات .

حيث حشد الشاعر فى هذه المقطوعة الشعرية مجموعة من الثنائيات المتضادة القائمة على مفارقة تصويرية ضخمة فى الصياغة والدلالة، طرفها الأول ماض جميل كان الوطن فيه يتمتع بالقوة وحسن المكانة والمنزلة، والعراقة، وطرفها الثانى الوطن فى الوقت الحاضر بكل ما يرمز إليه من الضياع والذلة والانحسار، وقد كان منطق المفارقة وإبراز التناقض هو الذى يحكم بناء القصيدة برمته، حيث دعم الشاعر هذه المفارقة الكبرى التى قام عليها بناء القصيدة بمجموعة من المفارقات الجزئية، ووضع

---

(١) بنية القصيدة فى شعر عز الدين المناصرة فيصل صالح القصيرى ص١٤٥.ط دار مجدلاوي للنشر والتوزيع عمان بيروت سنة ٢٠٠٦م.
(٢) لغة الشعر نموذج تطبيقى د. محمود الربيعى، مجلة فصول عدد ٤ مجلد ٧١/١.
(٣)عشيات وادي اليابس ص٢٧ .

طرفى المفارقة الأساسية فى علاقة صراعية إيجابية قائمة على التضاد بين الحاضر والماضي" العرفاء تهودا.. في الماضي لم يكونوا كذلك

المتعلمين تنصروا	وفي الماضي لم يكونوا كذلك
البائعون البلاد أقدموا	وفي الماضي لم يكونوا كذلك
المخلصون تقهقروا	و في الماضي كانوا في المقدمة
الحر مطية والعف يسمسر	وفي الماضي لم يكن هذا الأمر موجودا
بعنا العروبة	وفي الماضي كنا ننادي بالعروبة
نفوسنا بالدناءة تزخر	وفي الماضي كانت نفوسنا عالية

ولكن على الرغم من ذلك تأتي التضاديّة بين الأنا الجمعيّة والأخر (الهبر رمز الطبقة المتدنية، صورة سياسيّة مطلقة في شعر عرار، وفي هذه القصيدة بالذات ينسرب الخط السياسي بشكل أقوى مما في قصائد أخرى، ولعل التصريح المباشر بهذه القصيدة بوعد بلفور، من خلال الموازاة بين الأنا الجمعيّة والآخر (الهبر)، يؤيّد ما تذهب اليه الثنائية الضدية:

أنا مثلكم أصبحت لا أرض ولا	**أهل ولا دار ولا لي معشر**
ولقائل لك بالعراق، وملكه	**واق يعيذك ما تخاف وتحذر**
فهناك لا بلفور يزعج وعده	**أحدا وليس هناك من يتبلفر**
وهناك لا " بيك " تخاف جنوده	**يوما ولا " ككس " هناك وهوبر**
وهناك لا.. أوهل هناك دساكر	**يا شيخ بالهيف المرنّح تزخر** [1]

فالذات الجمعيّة هنا – التي يمثّلها عرار في البيت الأوّل أصبحت، كما هو الآخر، لا أرض، ولا أهل، والسبب في ظل ذلك المستعمر الذي لاتقف في وجهه الأنا الجمعيّة، ولا تدافع عن قيمها، وأرضها، تجاهه، وهنا تتحوّل القصيدة الى " نص مضاد " للواقع السياسي الذي عاشه عرار . وأن صورة الهبر هي صورة التحرر.

لقد شكّلت هذه الدائرة بضديّاتها، السّقف الأعلى لحالة التأزّم، بين الأنا والآخر (السياسي)، حيث انتهت بحالة التّوحّد بين الأنا المتضادّة مع مجتمع التّضاد (مجتمع النّور):

([1])عشيات وادي اليابس ص٢٤ .

أنا مثلكم أصبحت لا أرض ولا أهل ولا دار ولا لي معشر

ولهذا فإن المنحي السياسي، الذي يشكّل جزءاً من ثقافة الانسان العربي، كان يضع عراراً أمام تحديات كثيرة في حياته، ولكن عمق الايمان الشخصي عند عرار برؤيته، جعلته يبني قصيدة تتبنّى الجدليّة، موظّفة الثنائيّة الضديّة . فمن خلال تفاعل هذه الثنائيات المتضادة ينمو بناء القصيدة ويتطور، وتتوالد صورها ورموزها ومفارقاتها الجزئية، مما "يكسر رتابة النص وجموده، بإثارة حساسية القارئ المتلقى، ومفاجأته بما هو غير متوقع من ألفاظ، وعبارات وصور، ومواقف تتضاد فيما بينها، لتحقق فى نهاية المطاف صدمة شعرية يتعالى بها النص على قارئه، ويحلق به فى فضاء جمالى، ويحرض على الحوار والتفاعل، وإعادة إنتاج المعنى"[1].

ب: البناء الأسلوبى:

الأسلوب "هو فن من الكلام يكون قصصاً أو حواراً، تشبيها أو مجازاً أو كناية، تقريراً أو حكماً وأمثالاً"[2].

هذا بالنسبة إلى الأسلوب فى الأدب عموماً، أما فى الشعر فهو يرتبط ارتباطاً وثيقاً بالعاطفة التى تعد من أهم الخصائص المميزة للشعر عن غيره، والأسلوب عنصر من العناصر الفنية المهمة، يختاره الأديب ليجمع العناصر الأخرى، ويرتبها على نحو يحقق الجمال المطلوب، وهو إما أن يكون اختيار بحث وتدقيق وإما أن يكون اختيار بداهة وطبع، وفى كلتا الحالتين، لابد من توافر الموهبة والعلم والخبرة، وإلا كان فى الاختيار تصنع وتكلف[3].

---

(1) بنية القصيدة فى شعر عز الدين المناصرة فيصل صالح القصيرى ص١٤٦.

(2) الأسلوب دراسة بلاغية تحليلية لأصول الأساليب الأدبية د. أحمد الشايب ص٤١.مكتبة النهضة المصرية للطبع والنشر القاهرة ط سابعة ١٩٧٦م.

(3) انظر الأدب الإسلامى إنسانيته وعالميته، د. عدنان رضا النحوى ص١٧٤، ١٧٥دار النحوي للنشر والتوزيع ط ثالثة ١٩٩٤م.

وبما أن الأسلوب "يرتبط بطرق متنوعة فى التعبير تحدها علاقات لغوية ومعجمية منظمة"[١] فيمكننا تحديد أهم سمات البناء الأسلوبى فى شعر عرار فيما يلى:

١- الاقتباس:

بدا الاقتباس سمة بارزة فى شعر عرار، فقد لجأ إليه باعتباره وسيلة فنية يستطيع من خلالها أن يرقى بشعره نحو مستوى فنى يحمل صفة التأثير.

واسترفاد النصوص القرآنية، واستلهام معانى الوحى، واستظلال ألفاظ القرآن الكريم قديمة عند الأدباء والشعراء، وقد أطلقت عليه أسماء عدة كالاقتباس، والاستشهاد، والتضمين والتلميح... إلخ[٢].

وجعل ابن الأثير القرآن الكريم والتدريب باستعماله، وإدراجه فى مطاوى الكلام من آلات البيان وأدواته، لأن الأديب إذا عرف مواقع البلاغة، وأسرار الفصاحة المودعة فى ألفاظ القرآن، اتخذه بحراً، منه يستخرج الدر والجواهر، ويودعها مطاوى كلامه، ويضمن إنشاءه بالآيات فى أماكنها اللائقة بها، ومواضعها المناسبة لها[٣].

وقد تنبه الشعر الحديث والمعاصر إلى ذلك، ووجود الشعراء فى نبع القرآن مادة ومصدراً للخطاب الشعرى، يوظفون ألفاظه ويستظلون بآفاقه ومدلولاته.

وما يستوقف الانتباه هنا كثرة اعتماد المحدثين والمعاصرين على هذا المصدر التراثى السماوى، ربما مع الصحوة الإسلامية، أو رد فعل للأحداث الكثيرة الملمة بالأمة، أو دعوة إلى الداخل واستبطان الذات، أو إدراكاً أن قوة الأمة كامنة فى جذورها التاريخية، وقيمتها الدينية، أو تعبيراً عن التمسك بالذات فى مهب العواصف والقوارع، أو

---

(١) بناء الأسلوب فى شعر الحداثة – التكوين البديعى – د.محمد عبدالمطلب ص ٢٠.دار المعارف ط ثانية ١٩٩٥م.

(٢) الإيضاح في علوم البلاغة الخطيب القزوينى ٥٧٥/٢ تحقيق د. محمد عبدالمنعم خفاجة.دار الكتاب ط خامسة ١٩٢٣م.

(٣) انظر المثل السائر لابن الأثير ٧١/١ تحقيق د. أحمد الحوفى ود. بدوى طبانة.دار نهضة مصر للطباعة والنشر ط ثانية ١٩٧٣م.

تدليلاً عن أن هذا المصدر قريب من الذهنية العربية سريع الحضور والاستدعاء، أو تلميحاً إلى قول عمر –رضى الله عنه– لا يصلح آخر هذه الأمة إلا بما صلح به أولها، ولهذا ذهب الشعراء يوحدون بين الحاضر والماضى فى منظومة حية تفعل هذا وذاك وتظهر أثره فى التوظيف والإحياء.

وقد كان هذا النبع الصافى مصدراً للعديد من التشكيلات الشعرية عند الشاعر عرار، لما يمتاز به هذا المصدر الثر من التأثير فى نفوس الناس ومشاعرهم، فقد استأنس بمقاطع من سور القرآن الكريم، ولعل ذلك راجع على عمق ثقافته الدينية، وإلى ظروف نشأته الأولى.

ها هو ذا يستلهم الآية القرآنية بلفظها ويوظفها فى النص الشعرى بوعي متميز، ليعطيه المصداقية والقوة الفاعلة فى نفس المتلقى، وبخاصة عندما يتحدث عن الحقوق المهدرة، والأراضى المستعمرة من قبل الصهاينة تتار العصر ولا يجد من يدافع عنها، ويثأر للشهداء الذين بذلوا دماءهم رخيصة فى سبيل الدفاع عنها، فيسخر من شعبه قائلا:

أيهـا الباكي علـي أوطـانه لا يـرد الـروح للـميت نـوح
بارك الظلم وصفق للأذي فهما (نصر من الله وفتح قريب)"[1]

لقد استرجع الشاعر عرار معرفته القرآنية، وما تحويه من معان تتعلق بواقعه المظلم فأحدث تناصا مع الآية القرآنية: (وأخرى تحبونها نصر من الله وفتح قريب) وقد اتخذ هذه الآية لإدانة واقعه المهين ، وجعل دلالتها سلبية، علي الرغم من إيجابيتها جاعلا من الظلم نصرا وفتحا قريبا ، وهنا "ينبغي أن لايفهم التناص علي أنه تماثل دائما، وإنما قد تتحول دلالة النص الأصلي، وتتخذ بعدا جديدا "[2] فالشاعر يسخر من الشعوب التي لاتعرف غير البكاء سبيلا للدفاع عن أوطانهم وهي بذلك تصبح مباركة

([1]) عشيات وادي اليابس ص ١٦٦، والآية : سورة الصف آية (١٣).
([2]) التناص في نماذج من الشعر العربي الحديث موسي الربابعة ص٧٧ ط مؤسسة حمادة للدراسات الجامعية والنشر والتوزيع سنة ٢٠٠٠.

للظلم والتصفيق للأذي فيعدا معادلين للنصر والفتح، ومن هنا جاء التغاير بين سياق الآية الأصلي وبين سياقها الجديد الذي وضعت به، بعد أن يئس من حالة الصمت المطبق الذى تعانيه الأمة على أيدى حكامها المتشرذمين.

وبنفس الكشف يعبر عن واقعه المؤلم بقوله :

في موطن سكانه عبيد
هيهات مني كل ما أريد
إن غدا وما غد بعيد
لسوف يبدي بعض ما يعيد
فحسبنا لبعضنا نكيد
ضل غوي واهتدي رشيد
إن فاز بالغنيمة اليهود
فحوضهم لا حوضك المورود
وظلهم لاظلك الممدود
وسعيهم لاسعيك المحمود [١]

في هذه الأبيات تناص الشاعر مع ثلاث آيات من كتاب الله وهي :(إنه هو يبدئ ويعيد)[٢] و(والنجم إذا هوي* ماضل صاحبكم وما غوي)[٣] و(وطلح منضود* وظل ممدود* وماء مسكوب) [٤]

فقد حول الشاعر النص القرآني إلي سياق آخر فالآية الأولي تتحدث عن قدرته سبحانه في الخلق والبعث، وتحذير المشركين من التمادي في غيهم والخروج عن طاعته، لكن عرار اتخذ منها مايكشف عن الخطر الداهم الذي سيحل بأولئك الذين لا يسمعون نصائحه وصرخاته المتتالية المدوية .

---

(١) عشيات وادي اليابس ص ١٧٧ .
(٢) سورة البروج آية (١٣).
(٣) سورة النجم آية (١، ٢) .
(٤) سورة الواقعة آية (٢٩-٣١).

وفي الآية الثانية أثبت أن الضلالة والغي يؤديان إلي خطر محقق، وقد عبر عرار عنهما بسوء المآل لمن لم يسمع النصح والإرشاد وهو فوز اليهود باحتلال الأوطان، وسوء المآل.

أما الآية الثالثة فقد حول الشاعر سياقها إلي سياق آخر، فإذا كان الظل الممدود من نصيب أصحاب اليمين، فإنه من خلال الواقع المؤلم يصبح في نظر الشاعر من نصيب اليهود، ولذلك جعل الشاعر اليهود ينعمون بالسعادة في ظل شعوب مغيبة لايدركون حجم الخطر الذي يحيط بهم وهذه نتيجة عدم اهتمامهم بأقواله والاستماع إلي نصائحه وإرشاداته وصرخاته المدوية حتي بح صوته وكأن الأمر لا يعنيهم.

هذا عن توظيف النص القرآنى فى شعره بلفظه وبنصه، أما عن اقتباس النص القرآنى بأسلوب غير مباشر فى شعره، نذكر منه توظيف الرمز القرآنى السراب لأعمال الكافرين الذين خدعوا به مثل الحياة الفانية، التي ينخدع بها كثير من الناس. إذ يقول من قصيدته رثاء فؤاد :

أفؤاد ما الدنيا ؟ سراب بقيعة وقح يقعقع في مفازة باقع
إن تخدع الطماع لمعته فلن تقوي علي عبث بذقن القانع
فاربع علي ظلع المنية إنها وأبيك أغني من أغنّ مرابعي[1]

فالشاعر يتخذ من توظيف السراب الذي هو رمز لأعمال الكافرين الذي اقتبسه من قوله تعالى: "والذين كفروا أعمالهم كسراب بقيعة يحسبه الظمآن ماء حتي إذا جاءه لم يجده شيئا ووجد الله عنده فوفاه حسابه والله سريع الحساب "[2] رمزاً لأعمال الكافرين، حيث أعمالهم كالسراب لافائدة من ورائها، فالسراب يخدع الرائين وكذا الحياة الدنيا .

فعلي الرغم من أن أبياته لاتتماثل مع معني النص القرآني، إلا أنه يستلهم عبثية أعمال الكافرين، فينقلها إلي سياقه ليجعلها متماثلة مع عبثية الحياة الفانية من خلال رؤيته الخاصة .

---

(1) عشيات وادي اليابس ص ٢٧٨.
(2) سورة النور : آية (٣٩).

فالشاعر لجأ إلى الاقتباس القرآنى "ليتتبع عمق الدلالة للكلمة، وجمال التعبير ليمنح شعره قوة، وفكره يقيناً ووضوحاً"[١] ومن ثم يكسب موضعه قداسة "لأن القداسة تتجسد فى المصادر الدينية ويغدو توظيف ما تحويه تلك المصادر سبباً فى إضفاء القدسية على موضوع التناول، وخصوصاً إذا ما كانت القضية ذات ارتباط مباشر بالواقع اليومى المعيش"[٢].

وبذلك تبدو أهمية الاقتباس القرآنى وتوظيفه فى الشعر المعاصر، إذ يصبح النص مع دلالته على معناه ذا إيحاء واستطالة تمتد مع السياق، وتلقى بظلالها على التشكيل الفنى.

إلي جانب ذلك جاء التناص الأدبى: وقد ظهر جليا في شعره من خلال تأثره بالمناهج الشعرية القديمة، لأنه أمر طبيعى أن يتأثر الشاعر بأسلافه ويستفيد منهم، ويبدأ من حيث انتهوا لأجل تعميق فكرته، وتطوير أشعاره، لأنها الأساس الذى ينطلق منه الشاعر فى سبيل اتضاح تجربته الإبداعية٠

فالموروث الشعر يتجلى صداه على الشاعر من خلال الأخذ من الشعر العربي عن طريق التضمين، ومن شواهد ذلك قوله:

موطني الأردن لكني به كلما داويت جرحا سال جرح [٣]

فإنه ينظر فيه إلى قول فتح الله النحاس من عجز بيت له وأصل البيت :

كم أداوي القلب قلت حيلتي

كلما داويت جرحا سال جرح[٤]

---

(١) استلهام التراث فى شعر عبدالعزيز المقالح، خديجة حسين المغنج ص٥٠.الجمهورية اليمنية وزارة الثقافة والسياحة صنعاءسنة ٢٠٠٤م.

(٢) التواصل بالتراث فى شعر عز الدين المناصر د. صادق عيسى الخضور ص٥٤.مجدلاوي للنشر والتوزيع الأردن طبعة أولي٢٠٠٧م.

(٣) عشيات وادي اليابس ص ١٦٠

(٤) سلافة العصر في محاسن الشعراء لكل مصر. ابن معصوم ص٢٧٧ ط دار الفكر العربي القاهرة ٠

وفي قوله :

مالي للبان والزوراء والعلم والبرق يومض بالعلياء من إضم
جيران وادي الشتا ياناس أبغضهم أحب للقلب من جيران بذي سلم[1]

ينظر فيه **إلي قول البوصيري :**

أمن تذكر جيران بذي سلم مزجت دمعا جري من مقلة بدم
أم هبت الريح من تلقاء كاظمة وأومض البرق في الظلماء من إضم[2]

والشاعر هنا يدعم كلامه ويؤكده من خلال التناص مع قول البوصيري وفيه حنين للأهل وارتباط بالمكان .

وفي قوله:

لو كنت من مازن لم تستبح إبلي عرص من الشام أوعكروت لبناني[3]

استدعاء لقول الشاعر قريض بن أنيف وهو شاعر إسلامي ذكره صاحب ديوان الحماسة فقد استدعي الشاعر الشطر الأول من قوله :

لو كنت من مازن لم تستبح إبلي بنو اللقيطة من ذهل بن شيبان
إذا قام بنصري معشر خشن عند الحفيظة إن ذو لوثة لانا[4]

وهو هنا ينوه بأن الضعفاء لامكان لهم، فكل مايملكون مستباح وفي هذا نصح وإرشاد لقومه.

إلى جانب ذلك كانت الأمثال رافدا آخر من روافد ثقافة الشاعر، وقد لاحظ ابن رشيق أن الأمثال فى الشعر "تستحسن ونكت تستطرف مع القلة وفى الندرة، فأما إذا كثرت فهى دالة على الكلفة"[5] وشاعرنا لم يكثر من الأمثال فى شعره الثوري خوفا من التكلف ومن ذلك قوله:

ازعق عساه إذا زعقت يجيب فالأمر جد والخطوب تنوب

---

(١) عشيات وادي اليابس :ص.٣١٧

(٢) ديوان البوصيري :ص.١٩٠ ت سيد كيلاني ط١ مصر ١٩٥٥م.

(٣)عشيات وادي اليابس ص٣٧٩.

(٤) ديوان الحماسة لأبي تمام ج١ ص ١٧ تعليق ومراجعة دمحمد عبدالمنعم خفاجي . مصر سنة ١٩٥٥م.

(٥) العمدة لابن رشيق ١/ ٢٨٥ .

ازعق وصح بالمغمضين علي القذي إن الأذي ياعالمين قريب
لا يطمع النائين عن مس الأذي أطما بنوه وتلعة وشعيب
إن البلاء إذا سري في أمة جم القضاء وتحقق المكتوب[١]

فقول الشاعر : صح بالمغمضين علي القذي

مأخوذ من المثل القائل "إن لم تغض علي القذي لم ترض أبدا""[٢]. وهو مثل يضرب للسكوت علي الأذي حتي يعم السلام.

لكن عرار عكس ذلك وقال

(صح بالمغمضين) يريد منهم الاستيقاظ علهم يفيقون من غفلتهم واستمرائهم الضيم والهوان، أخذ عرار المثل وعكسه ليتوافق مع الوضع المزري الذي تعيشه البلاد في ظل شعوب يغطون في نوم طويل مؤكدا ذلك عبر تكراره لكلمة (ازعق) وكأنهم بعيدون عما يحدث ويحتاجون إلي من ينادي عليهم بصوت عال.

وفي موضع آخر يقول مؤيدا هذا المثل :

إنا نيام وأنتم مغمضون علي قذي فماذا عسي يأتي به الفرج[٣]

من أين سيأتي الفرج والكل مشتت بين نائم وغافل لاه عما يحدث في بلادهم.

وكذلك قوله متحدثا عن الرشوة والفسادة كأداة من أدوات المستعمر لتخريب الوطن :

إن البراطل قدما خربت جرشا والحاكم الفذ لكام شانيه[٤]

فقوله (إن البراطل خربت جرشا) [٥] مثل شعبي يضرب للرشوة التي تأتي بالأضرار في زمن خربت فيه الذمم بسببها كما خربت جرش علي يد مستعمرها بسبب تفشي الرشوة فيها .

وبنفس الكشف يقول :

---

(١) عشيات وادي اليابس ص١٢٤ .
(٢) مجمع الأمثال للميدانى ١٠٢/١ . تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم.
(٣) عشيات وادي اليابس ص ١٦٢ .
(٤) عشيات وادي اليابس ص٤٨٥ .
(٥) قاموس العادات واللهجات الأوابد الأردنيةج١ ص١٣٩ .

يعمي دخانك إن أوقدت نار قري والخير لافيك ياهذا ولا فيه [١]

وهو مثل يضرب للخائن لوطنه الذي لا يرجي نفعه ولايسلم الناس من شره.

وبذلك يبقى التناص جزءا مهما فى بنية النص، فهو "بنية حاضرة مفتوحة على الماضى، ومتحركة نحو المستقبل، وهو بذرة خصبة منتجة تحدد إطار الحضور الذهنى، والتداعيات التى تخلقها الدلالات التحويلية بين رموز النص الغائب، وما تؤول إليه فى بنية الحاضر"[٢].

٣-أسلوب النداء:

يشكل أسلوب النداء أبرز المظاهر الأسلوبية التى تعكس بعض ملامح الواقع المضطرب التى باتت تجربة عرار الشعرية تعبر عنه، وقد بدا أسلوب النداء فى شعره بشكل كامل مستعملاً كافة أدواته، مما يستعمل للقريب والبعيد، موظفاً دلالات استعمال هذه الأدوات لتركيز وتكثيف دلالات خطابه الشعرى، ومن مظاهر توظيف أسلوب النداء فى شعره قوله:

هيه يارمز الأماني والمني إنهم حيات رقطاء تفح
لا يغرنك تقبيلهم يدك اليوم وتقريظ المدح
فغدا سوف تري موقفهم منك يا مولاي إن أبرم صلح [٣]

حيث وظف الشاعر حرف النداء "يا" المستعمل لنداء البعيد فى حديثه إلي ملك البلاد مصر وهو قريب من نفسه، إما لعظم منزلته وبعد مكانته، معبرا عن ذلك بقوله: (يارمز الأماني، ويامولاي) وإما أن الشاعر يصور واقعا مؤلما ترزح فيه البلاد تحت أيدى المستعمرين وعيونهم من المرابين، ، مما يعكس حالة الغربة والضياع التى يشعر بها الشاعر تجاه وطنه بفعل الطغاة.

إن نداء البعيد عندما يظهر متلاحماً مع المنادى الذى لا ينتظر رداً منه أو استجابة أو رجع صدى، ولكنها مناجاة للقريب البعيد وللحاضر الغائب.

(١) عشيات وادي اليابس ص٤٨٥ .
(٢) الشعر الفلسطينى المعاصر صـ٨١ .
(٣) عشيات وادي اليابس ص ١٥٤.

وبنفس الكشف ينادي هذه الفئة التي حذر منها بنداء البعيد(يا)لأنهم بعيدون عن الوطنية والقيم الإنسانية وبالتالي هم بعيدون عن نفسه لأنهم يستنزفون الفقراء الذين يدافع عنهم فيؤلمه ذلك لأنه مفلسون مثله ولايجدون ماينفقون، فيشن حملته علي هؤلاء المرابين واصفا إياهم بالشر الذي منيت به البلاد والعباد، إذ يقول :

ياشر من منيت هذي البلاد بهم إيذاؤكم فقراء الناس يؤذيني (١)

وغالباً ما تكون صيغة النداء فى شعره مقترنة بهاء التنبيه ليستثير العزائم، ويستنهض الهمم من أجل الرفض والثورة على الواقع المهين فى زمن لاينفع فيه البكاء وحده علي الوطن لأن الروح إذا سلبت لاينفع النوح معها، إذ يقول:

أيها الباكي علي أوطانه لايرد الروح للميت نوح (٢)

إن صيغة النداء بهذه الصورة تكشف للمتلقى عن بقايا إنسان مقهور لما لقيه من غدر، وما كابده من معاناة، وهو رافض لهذه الحالة الفردية أو الجماعية التى يعيشها هو أو تعيشها أمته، فى تنهيدة حارة يرسلها الشاعر كى لا يحترق بها، ولعل هذا الذى دفعه إلى عدم الثبات على منادى بعنيه بل نادى الباكاؤن، والبكاء رمز للألم والمعاناة، وأن هذا البكاء لايجدي، إلا أن يخرج الصامت عن سكوته ويدافع بالدماء قبل الأموال عن وطنه لتوكيد الحضور الممثل للماضى المشرق من الحياة.

ومن أبرز المعانى التى يحملها النداء لدى عرار التوجع والمعاناة ممن لافائدة منهم، ولا يرجي خيرهم فهم مثل الدخان الذي يعمي، وهم سبب لحالة التراجع الذى تعيشه الأمة فى عصر مظلم انقلبت فيه الموازنين، وطغى أصحاب السلطان، وأصبحت غايتهم قهر الشعوب وإذلالها، والقضاء على ثورتها، إذا يقول:

يعمي دخانك إن أوقدت نار قري والخير لافيك ياهذا ولافيه(٣)

---

(١) نفسه: ص ٨٢.
(٢) عشيات وادي اليابس ص ١٨٠.
(٣) نفسه ص ٤٨٥.

وغير ذلك كثير فى شعره من توظيف الشاعر عرار لأساليب النداء، حيث أحسن الشاعر توظيفها، وتوظيف معانيها، للإفصاح عما يجول بخاطره مدعماً ذلك بعاطفته الجياشة التى لا تكاد تنقطع عن النداء لإصلاح أحوال الوطن، وتحرير الأرض، وإصلاح الواقع.

٣- أسلوب الاستفهام:

يبرز دور أسلوب الاستفهام فى البناء الفنى إذا خرج من معناه الحقيقى الذى يقوم على "طلب العلم بشئ لم يكن معلوماً من قبل بأداة مخصوصة"[١] إلى معان أخرى تكسب النص عمقاً وحيوية.

وقد أكثر الشاعر عرار من استخدام الأسئلة التى تنبض بمعانى الاستنكار، والسخرية، والتعجب، والتمنى، التى تشى ببعض ملامح الجو النفسى القلق الذى يعيشه الشاعر.

ففى قصيدة "متي" نجده قد اتخذ من الاستفهام وسيلة يعبر من خلالها عن حبه للوطن في أسئلته المتكررة لإحدي محبوباته التي يعتبر الحديث إليها هو الحديث للوطن فكل فكل امرأة تغزل بها وكل قرية ذكرها وكل واد تغني به رموز لهذا الوطن الذي أحب كل من فيه ومافيه . [٢]

متي ياحلوة النظرات والبسمات والإيماء والخطر
متي أملي علي الآلام والحدثان والدهر
أحاديث الهوي العذرى
متي ؟
من لي بأن أدري
متي ياحلوة النظرة
يكف زماننا عنا ؟
ولو في عمره مرة
أذاه وتكتفي شره

(١) شروح التلخيص للتفتازانى ٥٤٦/٢.
(٢) اللغة والأسلوب في لشعر عرار. محمود السمرة مجلة مجمع اللغة العربية الأردني العدد ٥٨.

متي؟
ياليتني أدري سجن المحطة ١٩٤٢. [١]

فقد وظف الشاعر (متي) الاستفهامية لعمق دلالتها للسؤال عن الأشياء ماضيا كانت أو حاضرا، وتكرار متي أكثر من خمس مرات فيه إلحاح علي السؤال من قبل الشاعر بدلالات متعددة عن الحالة النفسية التي يعاني منها، والاستفهام هنا بمعني التمني والتطلع واستبعاد المنتظر المترقب، ولأنه ينم على انفعال وتوتر يكتنفان الذات السائلة الساخرة مما ترى.

والباحث فى معانى الاستفهام فى شعره يجد أن الصيغتين التوبيخية والتعجبية هما الأكثر وروداً فى قصائده، فمن خلال الاستفهام التوبيخى استطاع أن يعبر عن موقفه الرافض لكثير من الأحداث التى تعانيها الأمة العربية، فهاهو ذا يأسي لحال يافا ويذكر أهلها أنهم أهل بر وإحسان ونخوة ويستنهضهم للوقوف في وجه العدو الصهيوني الغاشم، بسبب أفعالهم التي تستفز مشاعره ، وتشحن انفعالاته، عبر أداة الاستفهام (ماذا) إذ يقول:

يأهل يافا لقد طوقتم عنقي ... شتي العقود فمن بر لإحسان
ماذا عساه لساني أن يقول لكم ... إن أوجب الأمر تقريظى وإحساني
يا أهل يافا لقد بالأمس أرقني ... برق تألق في أجواء حسبان
فاستيقظت عبرتي من بعد ... هجعتها وعادني ذكرهم من بعد نسيان[٢]
نسيان[٢]

إنها تكشف عن ذات محتارة تحاول أن تفهم هذا الواقع الغارق فى التناقضات.

أما صيغة الاستفهام التعجبى فكثيراً ما ترد لينقل من خلالها صورة للواقع العربى المتمثل بقياداته وجيوشه التى تقف عاجزة عن تحقيق آمال الأمة وتطلعاتها، هاهو ذا يبعث برسالة غاضبة يعلن فيها عدم قبوله للهدنة التي أقرتها الجامعة العربية بين

(١) عشيات وادي اليابس ص٦٢ .
(٢) عشيات وادي اليابس ص٣٧٦.

المجاهدين والعصابات اليهودية المحتلة متعجبا مما يحدث عبر أداة الاستفهام (من) إذ يقول:

من كان يحسب أن العرب يخدعهم من كنت تحسبهم للعرب آخدانا
أبا طلال وأنت اليوم رائدنا نغدو إليك إذا ما الدهر عادانا
إن الوعود التي منوا وما صدقوا بها علينا لعمري كن بهتانا [1]

واتكاء الشاعر على هذا الأسلوب الاستفهامى التعجبى وسيلة لجذب انتباه المتلقى لعظم المصائب التى يعانيها الشاعر بمعاناة الأمة، فيرق لحاله، ويشاركه مشاعره وأحاسيسه.

فالشاعر يدفع بالاستفهام إلى فضاء العجب والدهشة، ويتخذه أداة للتعبير وليس للبحث عن أجوبة لما يثيره من تساؤلات، ليدرك القارىء فى غير عناء شدة قلقه، واضطرابه واندهاشه، فيقاسمه معاناته، ويكون الشاعر بهذا قد استنسخ تجربته فى نفوس الآخرين.

وفي صرخات مدوية يعتب الشاعر علي أمته التي لم تستمع جيدا إلي قوله بمناهضة المستعمر، والتحذير المستمر من عواقب التفريط في الأرض وعدم المحافظة عليها عبر أداة الاستفهام كم التي تدل علي الكثرة إذ يقول :

كم صحت فيكم وكم ناديت من ألم فلم تصيخوا لصيحاتي وأناتي [2]

فالاستفهام بكم مرتان يوحي بكثرة نداءاته وتحذيراته لهم حتي بلغ الصياح عليهم العنت والتعب .

ويمكننا أن نخلص مطمئنين إلى أن وجع السؤال فى نفسية عرار وجع لضمائرنا جميعاً، ساقه الشاعر عن رهافة حس، وقدرة على إثارته بأسلوب يمتع ويقنع فى آن واحد.

ثانيا: (البناء التصويرى)

([1])عشيات وادي اليابس: ص٣٤٩.
([2])نفسه: ص٣٤٩.

تعد الصورة من أبرز سمات الشعر، وهى وسيلة الشاعر للتعبير عما يدور فى مخيلته، فقد ارتبط مفهومها بالشعر العربى منذ القدم، وفى ذلك يقول الإمام عبد القاهر الجرجانى بأن "الشعر صياغة وضرب من التصوير"[١] ومن خلال هذا التعريف نلاحظ أن الصورة الشعرية التى يقدمها الشاعر تمثل أحد أهم المرتكزات الأساسية التى يعتمد عليها النص، وقد اقترب مفهوم عبدالقاهر الجرجانى للصورة الشعرية من المفهوم الحديث، فقال: "يريك للمعانى الممثلة شبها فى الأشخاص الماثلة، والأشباح القائمة، وينطق لك الأخرس، ويعطيك البيان من الأعجم، ويريك الحياة فى الجماد، ويريك التئام عين الأضداد، فيأتيك بالحياة والموت مجموعين، والماء والنار مجتمعين"[٢].

ومعنى ذلك أن لغة الصورة الشعرية القديمة كانت قائمة فى السابق على إيجاد العلاقة بين الأشياء الموجودة، الأمر الذى خالفه الجرجانى إلى الاعتماد على كسر العلاقة التقليدية والسعى لإيجاد علاقات وتصورات جديدة، " فلم يعد الخيال الشعرى يقتنع بإيجاد العلاقات بين الموجودات، أو بأن يتلقى مصادر صوره من الخارج، بل أصر على أن يخلقها بنفسه"[٣]، وهذا يعنى أن الصورة الفنية تعتمد على الخيال وتتوالد منه، والخيال قدرة عقلية لا تتأتى للجميع، وكلما كان خيال الشاعر واسعاً كلما كانت الصورة أكثر عمقاً، "فالخيال هو العدسة الذهبية التى من خلالها يرى الشاعر موضوعات ما يلحظه أصلية فى شكلها ولونها"[٤].

فالصورة "نتاج لفاعلية الخيال، وفاعلية الخيال لا تعنى نقل العالم أو نسخه، إنما تعنى إعادة التشكيل، واكتشاف العلاقات الكامنة بين الظواهر، والجمع بين العناصر المتضادة أو المتباعدة فى وحدة، إذا فهمنا هذه الحقيقة جيداً أدركنا أن المحتوى الحسى للصورة ليس من قبيل النسخ، وإنما هو إعادة تشكيل لها، وطريقة فريدة فى تركيبها إلى

(١) دلائل الإعجاز، عبدالقاهر الجرجانى ص٣٢٤.
(٢) أسرار البلاغة، عبدالقاهر الجرجانى ص٣٢.
(٣) لغة الشعر الحديث د. سعيد الورقى ص١٤٥.
(٤) النقد الأدبى الحديث د محمد غنيمى هلال ص٤١١.

الدرجة التى تجعل الصورة قادرة على أن تجمع الإحساسات المتباينة، وتمزجها وتؤلف بينها فى علاقات لا توجد خارج حدود الصورة"[١].

إذ هى المسوغ اللسانى الذى بواسطته يجرى تمثل المعانى تمثلاً جيداً ومبتكراً بما يحيلها إلى صور مرئية معبرة[٢]، والصورة إبداع ذاتى، يجيد فيها الشاعر من خلال امتلاكه الثقافة التى تبنى العناصر التى تؤلف وتخلق الانسجام، وهى انحلال للترابطات الكامنة فى النفس وترجمة لها[٣].

ومن الطبيعى أن تحظى الصورة بعناية خاصة من الشاعر، فهى من أهم المقومات الفنية للقصيدة وتساهم إلى حد كبير فى تمتين بنيتها وتعظيم شأنها.

وقد عمد الشاعر عرار إلى تشكيل البنية التصويرية فى شعره من خلال محورين هما: الصورة المفردة الجزئية، والصورة المركبة الكلية.

أولاً: الصورة المفردة الجزئية:

تصاغ الصورة المفردة الجزئية بأساليب ووسائل خاصة تنبثق من وجدان الشاعر، وتأتى متمازجة مع أفكاره وانفعالاته وألفاظه التى يختارها والموسيقى التى تحتويها، وتعتمد هذه الصورة على الوميض العابر فى ثنايا القصيدة، وتمنح المتلقى أكثر من شكل فى نص واحد، ويجعل ذلك ما بقى منسجماً لا تنافر فيه مع الفكرة والعاطفة"[٤].

ويمكن للدارس أن يحدد أهم الوسائل البنائية لصور الشاعر المفردة من خلال التشبيه، والاستعارة، والكناية، وتبادل المدركات.

التشبيه:

هو من أسهل الأساليب الفنية التى يستخدمها الشاعر فى ابتكار الصورة الشعرية، غير أنه أقل قدرة على الإيحاء إذا لم يحسن الشاعر إقامة وجه الشبه بين الطرفين،

---

(١) الصورة الفنية فى التراث النقدى والبلاغى د. جابر عصفور ص٣٤٠-٣٤١.
(٢) انظرالصورة الشعرية فى النقد العربى الحديث د. بشرى موسى صالح ص٣.
(٣) انظر جدلية الخفاء والتجلى، دراسة بنيوية فى الشعر، كمال أبو ديب ص٢٥.
(٤) الأدب العربى المعاصر كمال غنيم ص٢٣.

"فالصورة تقترن بالرائع اقتران وجود[١]" لذلك لابد من البحث عن طرفى تشبيه متناسبين، متناسبين، حتى تتحقق الصورة الفنية بأوج إشراقها.

ويبرز استخدام الشاعر لأسلوب التصوير بالتشبيه فى غير قصيدة إذ يعمد من خلاله إلى إبراز حالة الضياع والجمود التى يعيشها الوطن وشعبه، فيشبه هذا الشعب وما وصل إليه_ بسبب فعل المستعمر ومن معه من الخونة المرابين_بأنه أضيع من سائل يمد يده للئيم وهذا الفعل فيه نهب للوطن، وامتهان لكرامة المواطن إذ يقول :

والشعب عندهم أضيع من سائل قدر يمد ذراعه للئيم [٢]

هذا التشبيه يعبر بدقة عن المعاناة التى يعانيها الشاعر بمعاناة وطنه وشعبه جعلته كالمراقب بدقة لما يحدث لوطنه من قبل قوى الشر والطغيان، مشبها فعل المستعمر بوطنه فعل الذئاب التي استباحت البلاد والعباد ولاتجد من يردعها، إذ يقول:

نحن الأرقاء هذا لاجدال به وإن يكن ليس ياهذا بحسبان
سيمت بلادي ضروب الخسف وانتهكت حظائري واستباح الذئب قطعاني[٣]

ولذلك فهم في مفاوضاتهم دائما مايرجعون خاليين الوفاض دون تحقيق أي نتائج متكئا علي التشبيه في ذلك إذ يقول :

وعدنا كحراث النبور لأهلنا ولم نقض للإخوان حقا توجبا [٤]

فقد شبه حالهم بحال حراث النبور وهم عشيرة في مدينة السلط إذاعمل شخص عندهم أعطوه أتعابه مقدما فإذا مانتهي من عمله يكون قد أنفق ما أخذه، فيرجع لأهله خالي الوفاض وهو مثل يضرب من يرجع من مهمته صفر اليدين،

---

(١) ملامح الأدب العربى الحديث، كرم غطاس ص٩٩.
(٢) عشيات وادي اليابس ص ٣٠٥ .
(٣) نفسه ص :٣٧٠
(٤) نفسه ص :١٢٥

وفي خضم هذه المحن لاينسي أن يعبر عن مواطن الجمال في وطنه فيصور مسيل وادي السير ساعة المطر وكأنه الفضة وقت ابلاج البرق وكأنه يكشف عن أسنان بيضاء لامعة، إذ يقول :

وشعاب وادي السير سال لجينها للبرق لما افتر عن أسنانه[1]

ومن شدة تعلقه بهذا الوادي يربط أزهاره وبين خد محبوبته فزهر الدحنون الي يكثر في هذا الوادي بحمرته الجميلة يشبه خد هذه المحبوبة التى يحدثها بقوله :

دحنون وادي السير من جناته لاتنكري أتضرجا خداك[2]

ويعبر عن تعلقه بوطنه وحبه لأرضه وبنفوره من الرحيل والنزيل، والقال والقيل، في وقت العمر فيه قصير، الذي يشبه أحلام اليتيم بجامع الكآبة في كل، أو كالعيش الذي تجود به سنوات القحط بجامع النزر اليسير في كل، وفي ذاك الهزال باد .إذ يقول :

أفي كل يوم منزل ورحيل وقال به ذرعا تضيق وقيل ؟
وعمر كأحلام اليتيم كآبة وعيش كجدوي المسنتين هذيل[3]

فهذه الصور الجزئية المتلاحقة خدمت الشاعر ليوحي أن العمر فان والأمنيات المتحققة للإنسان قليلة كسراب بقيعة .

فالتشبيه بلا شك قد أعطى المتلقى فضاءً تأملياً واسعاً لحجم المعاناة التى يعانيها الشاعر بمعاناة الوطن وشعبه، وذلك بما يتيحه للخيال من جمع بين المتباعدات فى علاقات جديدة لم تكن موجودة من قبل خلق علاقة التشابه.

الاستعارة:

وقد شغلت مكاناً لابأس به فى شعر عرار حيث وظفها فى بناء صوره الجزئية، لما تمنحه للنص من ثراء فى المعنى، وإيحاء دلالى واسع وتتأكد قيمتها فيما تحدثه من

---

(1) عشيات وادي اليابس ص :٤٠٥
(2) نفسه: ص :٣٠١
(3) عشيات وادي اليابس : ص ٣٠٤

تغيير لمعطيات الواقع "فإنك لترى بها الجمال ناطقاً، والأعجم فصيحاً، والأجسام الخرس مبينة"[١].

مما جعلها فى أشعاره حلة بهية مؤثرة بجمالها على المتلقى، حيث تجعله يمعن النظر مراراً فى إيجاد العلاقات، وأعمال الفكر لتكملة الدلالات، ومن ذلك قوله:

سكر الدهر فقل لي : كيف أصحو والندي يبخل والجود يشح
وحياتـي لاتسـل عن كنهـهـا إنها حان وألحان وصدح[٢]

فالشاعر يعبر بطريق الاستعارة المكنية عن واقع الأمة المؤلم، فى صور شعرية حزينة مؤلمة تعبر عن اختلاف القيم وتبدلها، وانقطاع الكرم وقلة العطاء في صور موحية إلي تبدل موازين الحياة فى نظر الناس، وكأن الدهر قد سكر وغاب عن وعيه فبدل قيمه، وشح بفضائله عن المحتاجين، مماكان له عظيم الأثر علي حياته التي تبدلت هي الأخري بسبب مايعانيه وما يعتريه من آلام وأحزان.

وسر جمال هذه الاستعارات المكنية هو التجسيم، وإبراز معنى اليأس المعنوى فى صور حسية، مما يقوى المعنى الذى أراد الشاعر تأكيده.

وهذا الواقع المؤلم الذى عبر عنه الشاعر ما هو إلا ردة فعل للعروبة المهدرة، والشعارات البراقة، التى يكذب بها الحكام على شعوبهم باسم هذه العروبة، التى أصبحت زيفاً منقوشاً بالأوهام فوق قبور الموتى، فيتذكر الماضي الجميل والأيام الخوالي متسائلا هل ماتزال هضاب الوطن في ديرة (رم) التي تسكنها عشيرة(بني عطية) الذين دافعو عنها فاستعصت علي المستعمر شماء تعلوها الأنفة والكبرياء، وتلاع وادي اليتم ضاحكة، وتربته سخية بالرجال الأشداء والخير الوفير، فديرتهم عدية صعبة علي الأعداء الذي لم يكن لهم بها أبدا إقامة أوأسبقية، إذ يقول:

يا أخت رم كيف رم ؟ وكيف حال بني عطية؟
هل ما تزال هضابهم شما؟ وديرتهم عذية؟
سقيا لعهدك والحيا ة نؤملها رضية

(١) أسرار البلاغة، عبدالقاهر الجرجانى ص٣٧.
(٢) عشيات وادي اليابس ص ١٦٢.

وتلاع وادي اليتم ضا حكة وتر بته سخية
أيام لم يك للفرنجة في ربوعك أسبقية[١]

هذه العروبة المهدرة الآن جعلت الشاعر عبرالاستعارة المكنية يحن إلي الماضي الجميل ويبكي علي الحاضر، ويتذكر ضاحية من ضواحي الوطن هضابها شما، وديرتها عذية علي الأعداء، وتلاع أوديتها ضاحكة، وتربتها سخية، في أيام لم يكن للمستعمر فيها أسبقية للإقامة، حيث الرجال الأحرار الذين يعرفون قيمة الأرض وكرامة الوطن .

وهذه الحركة الفاعلة فى الصور السابقة للعروبة معنوية غير مدروسة إلا فى نتائجها وآثارها، فجعل الشاعر من هذا الشئ المعنوى شخوصاً ليجسد من خلالها مشاعره وأحاسيسه.

الكناية:

كان لها حضور قوى فى شعر عرار، فهى الصورة التى يتوسل بها الشاعر فى تصوير رغبته فى تحسين الصورة المراد نقلها إلى المتلقى أو تقبيحها، عن طريق الإيحاء بها، وليس بطريقة النقل المباشر فتكتسب بذلك دلالة أقوى وأعمق، وفى هذا يقول عبد القاهر الجرجانى "والكناية إثبات معنى من المعانى، فلا يذكره باللفظ الموضوع له فى اللغة، ولكن يجئ إلى معنى هو تاليه وردفه فى الموجود فيؤمئ به إليه ويجعله دليلاً عليه"[٢].

وقد وظف الشاعر الكثير من الكنايات فى تشكيل الصورة الجزئية عنده، ومن ذلك قوله مخاطباً صديقه، ومصوراً مدى المعاناة التى يعيشها الشعب فى ظل واقع مظلم متقلب ليس له ثوابت وقيم إذ يقول :

فالحرّ فينا للعلوج مطية والعفّ منا لليهود يسمسر
بعنا العروبة بالوظيفة وانبرى ليبيع " غور أبي عبيدة " أزعر

---

(١) عشيات وادي اليابس ص ٤٣٧.
(٢) دلائل الإعجاز، عبدالقاهر الجرجانى ص٦٦.

لا تعجبنّ لفعلنا فنفوسنا رغم الظواهر بالدناءة تزخر.[١]

فالشاعر عبر عن هذا الواقع المتغير من خلال الرمز الكنائى المتعدد الذي يعبر عن حالة الحاضر المؤلم وما يحمله من آلام وعذابات، فالحر أصبح مطية للمستعمر العلج، والعف أصبح لليهود سمسارا، وبيعت العروبة من أجل الوظيفة، وبيعت الأرض للمستعمر الصهيوني من خلال الخونة الزعران قليلي المال سيئي الخلق، ويطلب من صديقه ألا يعجب مما يري فالنفوس أصبحت بالدناءة تزخر

هذه المعاناة التى ساقها الشاعر من خلال الصور الكنائية المتعددة التى تدلل على مشاعره الأسوانة، وتذلله وانكساره والاندهاش والإنكار لما يحدث عبر الرمز الكنائى، والتي للأسف مكن لها منافقون أفاقون باعوا الناس جهراً والذمم، وجوههم ملطخة بالخطايا، وأقلامهم مأجورة تدافع عن النفوس الدنيئة التي باعت الأوطان بثمن بخس، ويعرض بهم من خلال حديثه لصاحبه الهبر(رمز الطبقة الفقيرة) فهم الذين يشبعون ويترفون علي حساب الجوعي، ويلبسون وقومهم عراة، وللأسف لبسهم من صنع الآخر الأجنبي وليس من صنعهم وبذلك يكونون قد جمعوا النقيصة من كليهما إذ يقول :

ياهبر بي فقر كفقرك للإباء وللحميه
أوماتراني قد شبعت علي حساب الأكثريه
وأكلت بسكوتا وهذا الشعب لايجد القليه
ولبست إذ قومي عراة غير مانسجت يديه [٢]

ويعبر بصورة أكثر سخرية عبر الكناية عن عدم الولاء والانتماء فهم الذين باعوا البلاد والشاعر وجلالته إلي المحتل الصهيوني حاييم ولكن للأسف بلا ثمن :

باعوا البلاد وحضرتي وجنابكم لكن بلا ثمن إلي حاييم [٣]

---

(١) عشيات وادي اليابس ص ٢٧.
(٢) عشيات وادي اليابس ص ٢٦.
(٣) نفسه: ص ١١.

هذه الكنايات التى اعتمدها الشاعر فى تشكيل صوره الجزئية المفردة استمدها من واقعه، وبلورها فى صورة موحية عميقة تدهش المتلقى، وتثير فكره وخياله للتدقيق بما تحمله من معان خافية.

ثانياً: الصورة المركبة الكلية:

تتشكل الصورة المركبة من مجموعة من الصور الجزئية المتآزرة التى تتداخل فى نسيج متكامل يسعى الشاعر من خلاله لتقديم العواطف أو الأفكار التى يتعذر تقديمها عبر صورة جزئية واحدة منفردة[١] بهدف التأثير في المتلقى، وكل صورة جزئية تقوم بدور معين داخل الصورة الكلية، كما أن مجموع هذه الصور وتضافرها جميعاً يؤدى إلى خلق تجربة الشاعر، ومعنى هذا "أن التجربة الشعرية التى يقع تحت تأثيرها الشاعر، والتى يصدر فيها عمل فنى ليست إلا صورة كبيرة ذات أجزاء هى بدورها صورة جزئية".[٢]

كما أن الصورة الكلية تمكن الشاعر من إكمال عاطفته وفكرته وخاصة فى حالة التعقيد والاتساع، كما أنها تمنح المتلقى نظرة شاملة لعاطفة الشاعر المسيطرة عليه[٣].

وقد عمد عرار فى تشكيل صوره الكلية من خلال عدة أبنية أبرزها : البناء الدرامى، والبناء المقطعى، والبناء التوقيعى.

أما البناء الدرامى:

فيلجأ إليه الشاعر معتمدا على عناصره فى تشكيل كثير من صوره الكلية، إذ يستخدم الحوار بنوعيه الداخلى والخارجى، ويوظف أسلوب السرد القصصى، ليبرز من خلاله عنصرى الحركة والصراع اللذين يمثلان جوهر الدراما.

---

(١) انظر التصوير الشعرى عدنان حسين قاسم ٢٤٧.
(٢) قضايا النقد الأدبى بين القديم والحديث د. محمد زكى العشماوى ص١٠٨.
(٣) انظر الأدب العربى المعاصر د. كمال غنيم ص٣٠.

وقد استخدام الشاعر عرار هذا النوع من بناء الصورة الكلية فى غير قصيدة على امتداد تجربته الشعرية واصفاً بالسرد استنهاض الهمم من أجل تحرير النفس والذود عن العرين لأن ذلك من شيم الأسود إذ يقول :

فانفض غبار الذل عنك وعن قضيتك المبينه
واقبع لوحدك إن سمعت بمرتع بالرعي دونه
فالعبد يقرع بالعصا والحر تكفيه القرينه
والموت جد والحياة بمن يحاولها قمينه
والليث ملك في السباع لأنه يحمي عرينه (١)

فى هذا المقطع من القصيدة وظف الشاعر الحوار الداخلى ليعبر من خلاله عن صعوبة الموقف الذى تعيشه البلاد فى ظل العدوان الصهيونى الغاشم، ومدى المعاناة التى عاناها هذا الشعب المسلم من القهر والاضطهاد شأنه فى ذلك شأن شعوب إسلامية أخري، وهذا الشعر القصصى يتحرك فيه الحوار واصفا حالة اليأس والمعاناة التى تعيشها الأمة الإسلامية، فيهيب بهم أن يهبو للدفاع عن أرضهم وأوطانهم لأن الرعي مهنة العبيد، والفروسية والذود عن الأوطان من شأن الأحرار الفرسان أشباه الأسود في حماية العرين، وهذا يؤكد ما لأ شعار عرار من تماس حقيقى مع الدراما وخصوصاً فى قصائده التي تعبر بدقة وصدق عن الواقع المظلم التي تعيشه الأمة في ظل الاحتلال، وتستنهض الهمم وتشحذ النفوس في الدفاع عنها .

البناء المقطعى:

وفيه يعمد الشاعر إلى بناء قصيدته من عدة مقاطع يمثل كل منها فكرة محدودة غير أن هناك خيطاً يربط تلك اللوحات ببعضها(٢).

وقد وظف هذا النوع من بناء الصور الكلية في شعره على امتداد تجربته الشعرية، في إحدي قصائده إذ يقول في المقطع الأول منها :

لما رأيت الكذب سر تفوق الفئة السرية

(١) عشيات وادي اليابس ص: ٩١
(٢) الأدب العربى المعاصر، كمال غنيم ص٣٤.

ورأيت كيف الصدق يذهب من يقول به ضحية
ونظر أحلاس الوظائف سادة بين البرية
أيقنت أن الألمعية في ازدراء الألمعية
وحللت عقلي من عقال الهاجسين بحسن نيه

وفى المقطع الثانى يقول:

لاتنخدع بالبنطلون ولاتثق بجمال زيه
ماكل زخرفة إباء وكل خطب عنجهية
كم فارس هو في الحقيقة عند راتبه مطية
ومدجج قاد السرية وهو قواد السرية (١)

لقد شكل الشاعر عرار قصيدته السابقة من خلال بنائها علي مقطعين، قد يبدو لأول وهلة أنها مستقلة استقلالاً تاماً، وإذا قرأنا كل مقطع على حده ، فقد نشعر باكتمالها، ولكن قراءة فاحصة لهذه الصور التى يشكلها المقطعان، سترينا كيف تتكامل على المستوى النفسى، لتشكل صورة كلية واحدة يقدم فيها الشاعر استياءه من للكذب والنفاق والتدليس والتذمر من هذا الواقع الاجتماعي الذى يعانى منه الوطن والمواطن، فيظهر استياءه ومقته لهذه العيوب فى زمن انعدم فيه الوفاء.

ففى المقطع الأول: لجأ الشاعر إلى إظهار استياءه ومقته للعيوب الاجتماعية التي يعج بها المجتمع ويكشف حقيقة هذه الفئة المنافقة الكاذبة ويربط بين أفعالهم وصورة المواطن العربى المقهور فى زمن البلادة وعجز الهمم، ويرميهم بسهامه اللاذعة .

وفى المقطع الثانى: حرص الشاعر على تأكيد الفكرة التى قدمها فى المقطع الأول من خلال تشكيل صور جديدة تستمد معالمها من الواقع المرير، واقع الكذب والنفاق، ويحذر من الانخداع بالمظاهر، وعدم الحكم علي الأشياء من خلال الشكل والهيئة .

وهكذا نرى كيف تلتحم الصور في المقطعين، متفاعلة متكاملة لتشكل الصورة الكلية للقصيدة وهى الاستياء من العيوب الاجتماعية، وكشف حقيقة الفئة المنافقة

(١) عشيات وادي اليابس ص ٢٨.

الكاذبة ، والتحذير من الانخداع بالمظاهر وعدم الحكم علي الأشياء من خلال الشكل والهيئة، فجاءت لوحة رائعة جسدها هذان المقطعان .

البناء التوقيعى:

وهو "الصورة المركبة للقصيدة من صورة واحدة تعتمد على أكبر قدر من التركيز والتكثيف"(١).

ويعتمد هذا البناء على التجربة الشعورية التى يكثف فيها الشاعر دلالاته عن طريق الألفاظ الموحية المركزة الدلالات، وهو خاص بالشعر الحديث لأنه يمثل "إحدى ضربات الشعر الحديث، والقصيدة القصيرة المركزة الغنية بالإيماء والرمز والانسياب والتدفق"(٢).

وهذه القصيدة التوقيعية ليست دليلاً على ضعف تجربة الشاعر أو صغر حجم تجربته، لأن الشاعر يلجأ فى هذا النوع من قصائده إلى "تكثيف تجربته واختزالها إلى الحد الذى يجعل من القصيدة صورة شعرية واحدة"(٣).

وخير مثال على ذلك قصيدة الشاعر عرار التى وردت فى ديوانه الشعري باسم "التوبة " وكان قد نفي إلي العقبة فعن له أن يهجر الخمر ويرجع إلي رشده تائبا فيخاطب الأمير قائلا:

أمولانا أمولانا هجرنا الدن والحانا
وبدلنا من المنظوم والمنثور قرآنا
فمن هود إلي طه نرتلها ورحمانا
لتسبيح به برمت مخارج قول سبحانا
إلي ذقن أطلناها بعثنون لتزدانا
لعل الرشد يمسكها إذا ما الغي أرخانا
أمولانا أمولانا بأيلة طال مثوانا
وكم بالحصن فاتنة تذوب أسي لذكرانا

(١) الأدب العربى المعاصر د. كمال غنيم ص٣٦.
(٢) شعرنا الحديث إلى أين د. شكرى غالى ص٩٦.
(٣) بناء القصيدة الفنى فى النقد العربى القديم والمعاصر د. مرشد الزبيدى، ص١١٧.

فهل مبلغ عبو د عنا بعض ماكانا
لنستفتيه هل صحت بهذا الشكل تقوانا [1]

فالشاعر من خلال كلماته يكشف من دلالاتها فى معالجة الحالة النفسية التى تنتابه بسبب مالاقاه في منفاه من عنت ومعاناه، فتظهر عليه حالة التبرم بمنفاه التى تجعله يسأل صديقه الشيخ عبود إمام الحضرة الأميرية إن كان إقلاعه عن الخمر والرجوع إلي الله يكفي لتوبته، ويستعطف الأمير أن يعيده من منفاه .

هذه المظاهر التى توحى بالضيق والتبرم بسبب نفيه إلي العقبة، ساقها الشاعر لتكثيف دلالاته وتوظيفها فى بناء صورته الكلية ذات البناء التوقيعى، وهى صورة "التوسل للأمير" لإنهاء سجنه .

وهكذا جاءت صور الشاعر عرار معبرة عن خلجات نفسه، ومشاعره الخفية للوصول إلي هدفه المراد، فهى تظلل كثيراً من مواقف حياته، وتشف عن أسلوبه الوطنى المتمرد، ومنهجه النفسى.

(1)عشيات وادي اليابس ص ٣٣٣.

الخاتمة

نحمد الله على جزيل إحسانه، ونستمد منه التوفيق والتأييد، ونصلى ونسلم على خاتم أنبيائه، وعلى من اقتدى بسنته، واهتدى بهداه.

وبعد.....

فمن خلال مصاحبتى لنتاج الشاعر مصطفي وهبي التل الملقب (بعرار) عبر ديوانه الشعري الذى أفصح عن قدرة شعرية فذة، ذات أبعاد فنية كبيرة لشعره الوطنى، وما يحمله من دلالات نفسية عميقة، وعوطف شجية متألمة، وقيم أدبية رائعة، وبراعة فنية ممتعة، يحسن بى أن أشير إلى أهم النتائج التى تضمنتها هذه الدراسة إثرهذه المصاحبة، وتتمثل فيما يلى:

– جاء مفهوم الوطن فى شعره متوائماً مع المفهوم الحديث بما يعنى البقعة الجغرافية المعنية بحدودها، وبشرها، وتاريخها، وقوانينها، وذكرياتها، بما فى ذلك الأمة الإسلامية، التى تربطها العقيدة برباط يعوض وحدة الكون والدم والتضاريس.

– أن هذا المصطلح (الوطن) على الرغم من وجود بذوره فى الشعر العربى القديم، إلا أنه ولد فى أحضان الحركات الإصلاحية والتحريرية، لكونه يدور حول قضايا الوطن ومشكلاته.

– كان لحضور هذا المصطلح بكثافة وغزارة فى الشعر العربى الحديث والمعاصر دليل على الوعى القومى والوطنى لدى شعراء هذا العصر، مما جعل بعضهم يعرفون بشعرهم الوطنى كالبارودى، وأحمد شوقى، وحافظ إبراهيم، ومحمد التهامى، ومحمود درويش، وعبدالله

البردونى، ومفدى زكريا، وصابر عبدالدايم، وفاروق جويدة، وغيرهم من الذين حملوا لواء الدفاع عن الوطن.

– احتلت ثنائية الوطن والإنسان فى شعره مكاناً رحباً، فجاءت أشعاره معبرة عن حبه العميق وانتمائه لمصر وشعبها، مما جعل لغة التواصل بينهما تستأثر بمشاعره وأحاسيسه المتدفقة، وعواطفه الجياشة.

– ارتبط الشاعر عرار بوطنه عبر مظاهره الطبيعية الجميلة وبخاصة ماء راحوب وماء الحمّر، ومدينة الغور ذات النباتات المتنوعة من دوم وزعرور، حرفيش، ومدينة ماحص والفحيص، وبرما وشيحان جبل الكركوغيرها الكثير مما يؤيد هذا الارتباط.

– تحولت الطبيعة فى شعره من كيانها المادى إلى حياة نابضة، يمتزج بها الشاعر، ويبوح لها بأسراره، وخواطره، ومكنوناته.

– اختار الشاعر بنزاهته الوطنية طريق الثورة لتحطيم، الأغلال ولمقاومة الآخر المعتدى حتى آخر نفس فى صدره.

– اتخذ من حديثه عن المرابين والفاسدين باعثاً لتجربته الشعرية، وأداة للتعبير عن واقع مظلم يعيشه الوطن فى ظل العملاء والخونة والمنافقين.

– آمن الشاعر بأن قضايا التحرر فى العالم العربى واحدة، ترتبط فيما بينهما برباط الحرية، متخذا من ارتباط الأردن بقضايا التحرر الوطنى أداة يرصيد من خلالها ظواهر التحرر العربى من الخليج إلى المحيط.

– مثّلت قضية فلسطين واحتلا الأرض فى شعره مخزوناً نفسياً يغذى إحساساً لا يضاهى بالفجيعة وفقدان الأرض، ومصادرة الحريات عبر ميراث حى يتموج داخل الروح ويتماذج ليغذيه ويتغذى به.

–رجع الشاعر فى كثير من شعره إلى الماضى البعيد يستمد منه عبر البطولة والفداء، ويتغنى بشجاعة الجندى العربى وإبائه عبر التاريخ ليغرس فى نفوس أبناء الأمة حب الجهاد، وسلوك درب المناضلين دفاعاً عن الحريات والمقدسات، بعد أن لمس حالة التخاذل للأنظمة العربية باعتبارها عاجزة عن ممارسة مسئولياتها تجاه قضايا الأمة.

– جاء شعره الإنسانى يحمل بذور واقعه بعيداً عن دفاتر النظريات وحماسة الشعارات، رافعاً شراع الإنسان ورايته باعتباره هدفاً أسمى لنيل حريته المقهورة، فكان الإنسان االأردني صدى لإنتاجه الشعرى، وكان الشاعر صدى لحياته، الأمر الذى عمق الإحساس بالقضايا الوطنية فى شعره.

– تجاوز الشاعر بعد يأس مهاجمة الحكام والقيادات العربية إلى شعوبهم، وكأنه يرى أن فساد الحكام هو امتداد لفساد الشعوب التى ألفت الذل والهوان.

– كان الشاعر واضحاً فى موقفه الرافض لأي اتفاق مع الجماعات الصهيونية وبخاصة عندما وافقت الجامعة العربية علي الهدنة مع الجماعات الصهيونية مما يشكل صورة مخزية للعجز العربى أمام الصهاينة والانتاب البريطاني، وسبباً فى بعث الفرقة والشتات بين أبناء الأمة.

– يعد الشاعر عرار من شعراء العربية الكبار الذين هزوا بشعرهم الوطنى وجدان الأمة، فعندما أدمته خناجر القهر والهزيمة من الصهاينة ومعاونيهم، وجد فى حنجرته أول صوت يصرخ على أبناء الأمة لنصرتها، وأول الناهضين من تحت الركام.

– عبرت لغتة الشعرية باقتدار عن أفكاره الثائرة التى تعبق بروحه الوطنية المتوثبة، ونزعته القومية الإنسانية.

– جاء معجمه الشعرى فى لغة وجدانية تقطر ألماً وأملاً، إنزاح بها إلى الواقع فأطعمها من وجدانه، وألبثها وشاحاً من وطنيته الجريحة، فجاءت لغة شفافة تعتمد الوضوح والواقعية والبساطة.

– كان لارتباط لغة الشاعر بالقيم الإسلامية دليل على اعتماده قيم الإسلام وتعاليمه الحنيفة التى ترى أن تحرير الوطن فكرياً ووطنياً يرتبط ارتباطاً وثيقاً بتطبيق تعاليم الدين الخاتم.

– اتكأ الشاعر فى كثير من شعره الوطنى على الرمز المستمد من الطبيعة والواقع، مما يدل على عمق ثقافته، وقدرته على استثمار هذه العناصر الرمزية فى نقل تجربته الشعرية إلى المتلقين، قصد إحداث المشاركة والتأثير فيهم عبر الإيحاءات الرمزية التى من شأنها أن تمنح النص فضاء واسعاً.

– كثرت ظاهرة الترديد الصوتى (التكرار) فى شعره الوطنى، مما أشبع دوائر الخطاب الشعرى بظاهرة الترديد اللفظى الذى ولد صور إيقاعية حركية هادرة تعمق الانفعال، وتهب النص أقصى درجات التشكيل الإيقاعى الصوتى المعبرة عن الرفض والتمرد، والرغبة فى التحول إلى الأفضل.

– جاء الاقتباس من القرآن الكريم فى شعره مصدراً للعديد من التشكيلات الشعرية، لما يمتاز به هذا المصدر الثّر من التأثير فى النفوس وإثراء المعنى.

– وظف الشاعر العديد من الشخصيات المناهضة للوطن فى شعره كوسيلة تعبيرية يلجأ إليها الشاعر المعاصر لتحديث بنية القصيدة العربية، بغية الوصول إلى تشكيل رؤاه للعالم والكون، والتعبير عن معاناة الأمة وأزمتها فى ذلك الوقت.

– سار الشاعر فى شعره الوطنى على ما سار عليه معظم الشعراء الوطنيين المعاصرين، من توظيفه للأسلوب القصصى فى توجيه خطابه الشعرى للاهتمام بتوضيح الجزيئات الدقيقة التى تصور الواقع العربى، من خلال ما يتعرض له من بطش وقهر على أيدى المحتل الغاشم .

– جاءت الصورة أداة فاعلة فى شعره الوطنى – وقد تنوعت بين الصورة المفردة الجزئية، والصورة المركبة الكلية، والصورة التوقيعية – لتعبر بقوة عن خلجات نفسه، ومشاعره الخفية التى حاكت واقعه المتردى.

وأخيرا لاأزعم أن هذا البحث قد برىء من المآخذ، ولكن حسبى أننى أخلصت، وآمل أن أكون قد أضفت لبنة فى صرح الدراسات الأدبية، فإن فاتتنى الغاية فلم يفتنى شرف السعى إليها.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

ثبت المصادر والمراجع

القرآن الكريم.

أولاً: (المصادر)

١- الآلة والأداة وما بينهما من المرافق والهنات – معروف الرصافي – تحقيق عبد الحميد الرشودي – وزاره الثقافه والأعلام العراقية – دار الرشيد . سنة ١٩٨٠ م.

٢- أسرار البلاغة –عبد القاهر الجرجاني – تحقيق محمود محمد شاكر – مطبعه المدني – القاهرة– ط أولي . سنة ١٩٩١ م .

٣- الأغاني لأبي الفرج الأصفهاني ط دار صادر ت د. إحسان عباس .

٤- الإيضاح في علوم البلاغة – الخطيب القزويني – دار الكتب العلمية – بيروت – لبنان – ط أولي – سنة ١٩٨٥ م .

٥- الإيضاح في علوم البلاغة – الخطيب القزويني – تحقيق د. محمد عبد المنعم خفاجة –دار الكتاب – ط خامسة –سنة ١٤٢٣هـ .

٦- حوارية الحزن الواحد – عبد اللطيف عقل – منشورات العودة –القدس – سنة ١٩٨٥م.

٧- دلائل الإعجاز– عبد القاهر الجرجاني – تحقيق محمود محمد شاكر – دار المدني – جدة – ط ثالثة – سنة ١٩٩١م.

٨- ديوان الحماسة لأبي تمام تعليق ومراجعة د، محمد عبدالمنعم خفاجة سنة ١٩٥٥م.

٩- ديوان عشيات وادي اليابس مصطفي وهبي التل جمع وتحقيق زياد الزغبي المؤسسة العربية للدراسات والنشر سنة ١٩٩٨ ط ١.

١٠–سلافة العصرفي محاسن الشعرلكل مصر لابن معصوم ط دار الفكر العربي القاهرة

١١–شروح التلخيص – سعد الدين التفتازاني – ط –عيسى البابى الحلبي – مصر.

١٢–الشوقيات –أحمد شوقي – ط – دار العودة – بيروت– سنة ١٩٨٨م.

١٣– العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده– ابن رشيق القيرواني– تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد –ط– دار الجيل–بيروت– د.ت .

١٤–عيار الشعر– ابن طباطبا العلوي– تحقيق د. طه الحاجري، د. محمد زغلول سلام – المكتبة التجارية الكبري – شركة فن الطباعة – القاهرة – ط أولي –سنة ١٩٥٦م.

١٥–اللهب المقدس – مفدي زكرياء – الجزائر سنة١٩٨٣.

١٦–محاورات عقل في الأدب والثقافة – عبد الكريم أبوخشان وآخرون –بيت الشعر – رام الله –سنة ١٩٩٩م .

١٧-المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر – ابن الأثير – تحقيق د.أحمد الحوفي، د. بدوي طبانة – دار نهضة مصر للطباعة والنشر – ط ثانية – سنة ١٩٧٣م.

ثانياً:(المراجع)

١٨- أبحاث مختارة من القومية العربية سامح الحصري – ط – دار المعارف – مصر – سنة ١٩٦٤م .البني الشعرية دراسات تطبيقية في الشعر العربي عبدالله رضوان منشورات أمانة عمان الكبري سنة ٢٠٠٣م .

١٩- الاتجاهات الفنية في الشعر الفلسطيني المعاصر- كامل السوافيري -مكتبة الأنجلو المصرية – القاهرة – سنة ١٩٧٣م.

٢٠- الأدب الإسلامي إنسانيتة وعالميته د.عدنان علي رضا النحوي – دار النحوي للنشر والتوزيع – ط ثالثة – سنة ١٩٩٤م.

٢١- الأدب العربي المعاصر – أوراق في الأدب والنقد – د.كمال غنيم – أكاديمية الإبداع – فلسطين – ط ثالثة – سنة ٢٠٠٩م.

٢٢- أروع ما قيل في الوطنيات- أميل ناظيف – دار الجيل – بيروت – لبنان -ط أولي – ١٩٩٢م.

٢٣- أساليب الشعرية المعاصرة – د.صلاح فضل – دار قباء للطباعة – القاهرة – سنة ١٩٩٨م.

٢٤- الإسلام نطاق إسلامي – مصطفي الرافعي – منشورات دار مكتبة الحياة – بيروت – سنة ١٩٥٨م.

٢٥- استلهام التراث في شعر عبد العزيز المقالح – خديجة حسين أحمد المغنج -الجمهورية اليمنية – وزارة الثقافة والسياحة – صنعاء – سنة ٢٠٠٤م.

٢٦- الأسلوب دراسة بلاغية تحليلية لأصول الأساليب الأدبية – د.أحمد الشايب – مكتبة النهضة المصرية للطبع والنشر- القاهرة – ط – سابعة – سنة ١٩٧٦م.

٢٧- أصول النقد الأدبي – د.أحمد الشايب – مكتبة النهضة المصرية – القاهرة – د. ت.

٢٨- الأفكار والأسلوب – أف تشنترين- ترجمة د.حياة شرارة – ط- آفاق عربية – بغداد – د.ت .

٢٩- الالتزام في الشعر العربي أبو قحافة – دار العلم للملايين – بيروت – سنة ١٩٧٩م.

٣٠- أوراق في النقد العربي – إبراهيم رماني – باتنة – الجزائر – ط أولي -سنة ١٩٨٥م.

٣١- الإيقاع في السجع العربي – محاولة تحليل وتحديد – د.محمود المسعدي – مؤسسات عبد الكريم عبدالله – تونس -سنة ١٩٩٦م.

٣٢- البعد الفني والفكري عند الشاعر مصطفي الغماري – يحياوي الطاهر- المؤسسة الوطنية للكتاب – سنة ١٩٨٣م. –

٣٣- بناء الأسلوب فى شعر الحداثة – التكوين البديعى- د.محمد عبدالمطلب – دار المعارف – القاهرة – ط ثانية- سنة ١٩٩٥م.

٣٤- بناء القصيدة الفني في النقد العربي القديم والمعاصر – د.مرشد الزبيدي- دار الشئون الثقافية العامة – بغداد – سنة ١٩٩٤م.

٣٥- بنية القصيدة فى شعر عز الدين الناصرة – فيصل صالح القصيرى- دار مجدلاوى للنشر والتوزيع – عمان – بيروت- سنة ٢٠٠٦م.

٣٦- التصوير الشعرى – رؤية نقدية لبلاغتنا – د. عدنان حسين قاسم – مكتبة دار الفلاح – الكويت – سنة ١٩٨٨م.

٣٧- التواصل بالتراث فى شعر عزالدين المناصرة – صادق عيسى الخضور – مجدلاوى للنشر والتوزيع – الأردن – ط أولى – سنة ٢٠٠٧م.

٣٨- التناص في نماذج من الشعر العربي الحديث د. موسي الربابعة مؤسسة حمادة للدراسات الجامعيةوالنشر والتوزيع سنة ٢٠٠٠م.

٣٩- جدلية الخفاء والتجلي دراسة بنيوية في الشعر كمال أبو ديب ـ طـ ـدار العلم للملايين ـ بيروت ـ سنة ١٩٧٩م .

٤٠- جيل الفدا قصة الثورة الكبري ونهضة العرب قدري قلعجي دار الكتاب العربي للطباعة والنشر سنة ١٩٨٧م .

٤١- جمالية الأدب الإسلامى – محمد إقبال عروى – المكتبة السلفية – الدار البيضاء – المغرب – ط أولى – د.ت.

٤٢- رؤية جديدة لشعرنا القديم د. حسن فتح الباب- ط- دار الحداثة – بيروت –سنة ١٩٨٤م.

٤٣- زمن الشعر أدونيس ـ دارالعودة ـ بيروت ـط ثانية ستة ١٩٧٨م.

٤٤- ساعات بين الكتب – عباس محمود العقاد – الجزء الأول – مكتبة النهضة المصرية – ط – السعادة – القاهرة – ط ثالثة – سنة ١٩٥٠م.

٤٥- سر الفصاحة لابن سنان الخفاجي –صححه وعلق عليه- عبدالمتعال الصعيدي – مكتبة محمد علي صبيح – سنة ١٩٥٢م .

٤٦- سيكولوجية الشعر – محمد طه عمر – عالم الكتب – القاهرة – ط أولى – سنة ٢٠٠٠م.

٤٧- الشعر والثورة – جلال الخياط – منشورات وزارة الإعلام العراقية- سنة ١٩٧٥م.

٤٨- الشعر العربى المعاصر – قضاياه وظواهره الفنية – د. عز الدين إسماعيل – ط – د. دار العودة – بيروت – سنة ١٩٨١م . و- ط – دار الكاتب سنة ١٩٦٧م.

٤٩- الشعر غاياته ووسائطه – عبدالقادر المازنى – ط – السفور – مصر- ط أولى – سنة ١٩١٥م.

٥٠- شعرنا الحديث إلى أين – د. شكرى غالى – دار الشروق – بيروت – ط أولى – سنة ١٩٩١م.

٥١- صلاح الدين فى الشعر العربى المعاصر- د. جواد الطعمة – ط – نادى الرياض الأدبى- السعودية

٥٢- الصورة الأدبية – د. مصطفى ناصف – دار الأندلس – ط ثانية – سنة ١٩٨١م.

٥٣- الصورة الفنية فى التراث النقدى والبلاغى – د. جابر عصفور – ط- دار المعارف القاهرة.

٥٤- عرار شاعر الأردن يعقوب العودات (البدوي الملثم) ط دار القلم بيروت سنة ١٩٨٠م.

٥٥- فلسفة الالتزام فى النقد الأدبى بين النظرية والتطبيق- د. رجاء عيد- منشأة المعارف- الإسكندرية- سنة١٩٨٦م.

٥٦- فن الشعر – د.إحسان عباس- دار الثقافة بيروت- د.ت.

٥٧- فى نقد الشعر العربى المعاصر- دراسة جمالية- د.رمضان الصباغ – دار الوفاء- الإسكندرية- ط أولى- سنة ١٩٩٨م.

٥٨- قضايا الشعر العربى المعاصر- نازك الملائكة- دار العلم للملايين- بيروت- سنة١٩٩٧م.

٥٩- قضايا النقد الأدبى بين القديم والحديث- د.محمد زكى العشماوى- دار النهضة العربية- بيروت- ط أولى- سنة١٩٨٤م.

٦٠- القومية والإنسانية فى شعر المهجر الجنوبى- د.عزيزة مريدن- الدار القومية- مصر- سنة١٩٦٦م.

٦١- لغة الشعر الحديث- سعيد الورقى- ط- دار المعارف- القاهرة- سنة١٩٨٣م.

٦٢- محمود درويش ومفهوم الثورة فى شعره- فتحية محمود- المؤسسة الجزائرية للطباعة- الجزائر- سنة١٩٨٧م.

٦٣- مفدى زكرياء- دراسة وتقويم- حواس برى- ديوان المطبوعات الجامعية للجزائر- سنة١٩٩٤م.

٦٤- ملامح الأدب العربى الحديث- كرم أنطوان غطاس- دار النهار للنشر - بيروت- سنة١٩٨٠ .

٦٥- النقد الأدبي الحديث د. محمد غنيمي هلال دار النهضة العربية مصر سنة ١٩٦٤م .

٦٦- نظرية الشعرعند الشعراء العرب في الأدب العربي الحديث من خليل مطران إلي بدر شاكر السياب دراسة مقارنة د، منيف موسي ط دار الفكر اللبناني بيروت ط أولي ١٩٨٤

٦٧- النقد التطبيقى والموازنات- د.محمد الصادق عفيفى- مكتبة الوحدة العربية- الدار البيضاء- المغرب- ط ثانية- سنة١٩٧٢م.

٦٨- الوطن فى الشعر العربى- وهيب طنوس- منشورات جامعة حلب- سنة١٩٨٠م.

٦٩- وطنيون وأوطان- أديب نصوص- دار العلم للملايين- بيروت- ط أولي.

ثالثاً: (المعاجـم)

٧٠- جمهرة اللغة- ابن دريد الأزدى - مؤسسة الحلبى وشركاه للنشر والتوزيع- القاهرة.

٧١- قاموس العادات واللهجات الأوابد الأردنية نشر المكتبة الوطنية عمان ط أولي ٢٠٠٤م.

٧٢- لسان العرب- أبو الفضل جمال الدين بن محمد بن منظور- ترتيب نديم مرعشلى، يوسف الخياط- ط- دار لسان العرب- بيروت

٧٣- مجمع الأمثال للميداني -الفضل أحمد بن محمد بن أحمد - تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم -ط- دار الجيل بيروت- ط أولي - سنة ١٩٨٧م.

رابعاً: (المجلات العلمية)

٧٤- مصطفي وهبي التل من أين إلي أين . مهدي شفائي وعلي صيداني -مجلة كلية التربية للعلوم الأساسية التربوية والإنسانية جامعة بابل -عدد ٣٠ كانون أول - سنة ٢٠١٦ م.

٧٥- أثر عرار في شعرنا العربي المعاصر خالد الكركي- مجلة أفكار- عدد - ٨٩-٩٠.

٧٦- اللغة والأسلوب في شعر عرار د. محمود السمرة مجلة مجمع اللغة العربية الأردني عدد ٨٥.

٧٧- لغة الشعر نموذج تطبيقى- د.محمود الربيعى- مجلة فصول- العدد الرابع- المجلة الأولى- سنة١٩٨٥م.

٧٨- الوطن فى شعر إبراهيم طوفان- د.عادل الأسطة- مجلة النجاح- العدد العاشر- سنة١٩٩٦م.